الفصل الرابع

المرحلة الرابعة من حروب الاسترداد في الطور الثاني

(مرحلة القاهرة)

قرانا من قبل ان المؤرخ اللاتيني وليم الصوري المتوفى سنة ١١٨٥ م قد تنبأ بزوال مملكة القدس الصليبية من الوجود على ايدي صلاح الدين ، وهذا ماكان إثر النصر المبين في معركة حطين ، ففي هذه المعركة دمر ـ كما رأينا ـ المسلمون المؤسسة العسكرية الصليبية التي كانت لقرابة قرن مضى اداة رعب في المشرق وقام صلاح الدين إثر ذلك باستغلال نصره احسن استغلال فحرر بسرعة خاطفة وببراعة كبيرة معظم الاراضي والقلاع التي كانت في ايدي الصليبيين بما في ذلك بيت المقدس ، وتمت عمليات التحرير دون سفك كبير للدماء وبلا مغانم ومنهوبات فقد كان صلاح الدين باخلاقه ومبادئه ومواريثه السامية بحكم انتمائة الى الحضارة العربية الاسلامية العريقة ، رجل تحرير ولم يكن رجل عدوان .(١) .

ومع نهاية عام ١١٨٧ م كان مابقي للصليبيين في بلاد الشام لايتعدى شريطا ساحليا ضيقا توزع حول صور وطرابلس وانطاكية ، وسعى صلاح الدين الى تحرير هذه المناطق لكنه لم يتمكن من ذلك وصارت الان مدينة صور مركز تجمع للصليبيين في الشرق ومنها جرت مراسلة اوروبا الغربية طلبا للنجدة ، واثارت الانتصارات التي حققها صلاح الدين حملة صليبية جديدة اطلق عليها اسم الحملة الصليبية الثالثة وقد تزعمها ملكا فرنسا وانكلترا وجرت مواجهات قاسية بين قوات هذه الحملة وصلاح الدين تمركزت حول مدينة عكا ، وضيق الصليبيون الخناق على هذه المدينة وعندما سلمت اليهم غدر ريتشادر قلب الاسد بالمسلمين فقتلهم

جميعا غدرا وخيانة وبذلك اضاف الى السجل الدموي لتاريخ الصليبين في الشرق صفحة مخزية جديدة ، وتابع صلاح الدين تصديه للسيل البشري الذي تدفق من اوروبا الى ان تمكن في ٢٣ شعبان ٥٥٨ هـ - ٣ ايلول ١١٩٢ م من عقد صلح الرملة مع قادة الحملة الثالثة ، وكان هذا الصلح عبارة عن هدنة غادر بعدها ريتشارد عكا عائدا الى اوروبا ، وكذلك فعل فيليب ملك فرنسا ، كما توجه صلاح الدين نحو القدس ، ومن القدس ذهب الى دمشق حيث استقر في قلعتها معلنا عن نيته القيام بالحج ، لكنه اصيب بمرض الزمه فراشة قرابة اسبوعين ، وفي صباح يوم الاربعاء السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة - الموافق ٤ آذار ١١٩٣ م توفي صلاح الدين ، فعم (القلعة والبلد والدنيا من الحزن مالا يعلمه الا الله تعالى ، وبالله - يقول ابن شداد - لقد كنت اسمع من بعض الناس انهم يتمنون فداء من يعز عليهم بنفوسهم وما سمعت هذا الحديث الا ضربا من التجوز والرخص الا ذلك اليوم فاني علمت من نفسي ومن غيري انه لو قبل الفداء لفدي بالنفس) (٢) .

لاشك ان وفاة صلاح الدين المبكرة جاءت خسارة كبرى لعرب الشام ومصر وللعالم الاسلامي اجمع وهو باعتراف جمهرة المؤرخين قديما وحديثا في الشرق والغرب كان اعظم شخصية شهدها عصر الحروب الصليبية ، ومايزال يتمتع عبر العصور بشهرة ومكانة لم ينلها قائد اخر ، فشهرة صلاح الدين في اوروبا قد تكون اعظم منها في الشرق ، وجميع الذين كتبوا عنه اشادوا بقوته وعدله وتسامحه وانسانيته .

لقد ترك صلاح الدين خلفه دولة واسعة الاطراف وفراغا كبيرا لم يستطع احد من ابنائه السبعة عشر او اخوانه او ابناء اسرته ان يملاه ، واصاب ابن شداد بقوله واصفا انه « لم يصب الاسلام والمسلمين بمثله منذ فقدوا الخلفاء الراشدين » لقد انذرت وفاة صلاح الدين بقيام منازعات بين ورثته حول تقسيم التركة الضخمة

التي خلفها وحدث هذا في الوقت الذي كان فيه هنري دي شامبين ملك مملكة القدس الصليبية يعمل على توحيد صفوف الصليبيين في انطاكية وارمينيا وقبرص وعكا ، ومن القاء نظرة سريعة على وضع الدولة الايوبية عند وفاة صلاح الدين ندرك مدى المخاطر التي كانت تتهددها وتتهدد وحدتها وكيانها ، ذلك ان صلاح الدين اعتمد قبل وفاته على تعيين اولاده حكاما على المناطق الرئيسة في دولته ، كما استعان ببعض اقاربه وكان الملك الافضل نور الدين علي وهو الابن الاكبر لصلاح الدين ملازما لابيه عند وفاته ، فاحتفظ بدمشق والساحل وبيت المقدس وبعلبك وصرخد وبصرى وبانياس وهونين وتبنين الى الداروم ، وكان الملك العزيز عثمان وهو الابن الثاني لصلاح الدين في مصر وقت وفاة ابيه فاحتفظ بها واخذ الابن الثالث الملك الظاهر غازي حلب وجميع اعمالها مع شمالي بلاد الشام ، واختص الملك العادل سيف الدين ابو بكر اخو صلاح الدين بالكرك والشوبك والاردن فضلا عن بعض مناطق الجزيرة وديار بكر .

لقد توزع بقية ابناء صلاح الدين وابناء بيته المناطق الاقل اهمية فاخذ الظافر خضر بصرى وحوران ، واخذ الامجد بهرام شاه بن اخي صلاح الدين بعلبك ، واخذ المجاهد شيركوه الثاني بن محمد بن شيركوه حمص ، واخذ المنصور الاول محمد بن تقي الدين عمر حماة ، واختص سيف الاسلام طغتكين وهو الاخ الرابع لصلاح الدين باليمن واجزاء من جزيرة العرب .

وعندما توفي صلاح الدين استيقظت مطامح ابناء البيوت القديمة في الجزيرة وغيرها لاسيما افراد البيت الزنكي والارتقي واخذ كل واحد يفكر بمملكة وبالتوسع (٣)، وهذه النظرة السريعة على اوضاع الدولة التي وحدها صلاح الدين تجعلنا ندرك ان الايام عادت سيرتها الاولى وان تمزق البلدان المحيطة بالصليبيين لن يضر غير المسلمين ،وكان صلاح الدين قبل وفاته قد اوصى بالسلطنة من بعده لابنه الافضل صاحب دمشق ، بمعنى جعله صاحب السلطة العليا في جميع انحاء الدولة الايوبية ، لكن الافضل لم يكن الاختيار المناسب

لضعفه وسوء سيرته ، فقد اتهمه ابو الفداء بأنه كان يشرب الخمرة ويقضي ليله ونهاره في اللهو وسماع الاغاني وقال المقريزي : انه « اقبل على اللعب ليله ونهاره وتظاهر بلذاته » ووصفه ابو المحاسن في نجومه « بالملك النوام » ، لانه احتجب عن الرعية واشتغل باللهو وزاد من كراهية الناس له تخليه عن رجالات ابيه ووضع ثقته في وزير جديد هو ضياء الدين ابن الاثير ، أخي المؤرخ المشهور ، ولذلك فر المستبعدون من اركان دولة صلاح الدين الى مصر واستعدوا الملك العزيز على اخيه الافضل ، فخرج العزيز من مصر في صيف سنة ١١٩٤ م قاصدا الشام وشرع في محاصرة دمشق الامر الذي جعل الأفضل يستنجد بعمه العادل .

من الثابت ان الملك العادل لم يكن راضيا عن نصيبه من تركة اخيه صلاح الدين وكان ذكيا ماكرا حاذقا صبورا ، فيه اناة وتؤدة ، ورأى في استنجاد الافضل به فرصة ينبغي عدم تضييعها ، لكنه احتاط للامور فالتقى الملك الظاهر غازي صاحب حلب ، وبالمنصور محمد صاحب حماه ، وبشيركوه صاحب حمص، وبالامجد صاحب بعلبك واتفق معهم على منع العزيز من الاستيلاء على دمشق لانهم راوا ان الاستيلاء على دمشق يهدد ممالكهم جميعا ، وادرك العزيز عدم قدرته على محاربة امراء بني ايوب جميعا فانصرف عائدا الى مصر ، وقبل انسحابه اجتمع به الملك العادل خارج دمشق وطيب نفسه واعطاه احدى بناته زوجة له . وصنع معه تسوية احتفظ بموجبها الافضل بدمشق ومعها طبرية واعمال الغور ، واخذ الملك الظاهر جبلة واللاذقية ، واخذ الملك العزيز بيت المقدس وماجاوره من اعمال فلسطين ، وثبت خلال هذا كله أن العادل هو رجل بني ايوب وانه حريص على وحدة البيت الايوبي والدفاع عن مصالح المسلمين ضد الصليبيين ، ويقول ابو المحاسن ان العادل عندما التقى بالملك العزيز قال له :« لاتخرب البيت الايوبي ، وتدخل عليه الآفة والعدو وراءنا من كل جانب ارجع الى مصر واحفظ عهد ابيك ».

وثبت ان هذه التسوية التي صنعها العادل كانت مؤقته وان ماحدث لم يستفد منه الأفضل لتغيير سياسته ، فكان ان خرج العزيز في العام التالي من مصر يريد دمشق ، واستنجد الأفضل مجددا بعمه العادل وقام العادل بتحريض امراء العزيز عليه واستمالهم اليه ، ونجحت خطة العادل فاضطر للعودة الى مصر واتفق عدد من الأمراء على عزل العزيز عن مصر واحلال الأفضل محله واعطاء دمشق للعادل ، وجمع الأفضل والعادل جيوشهما وزحفا نحو مصر وقبل الوصول الى القاهرة راسل العادل العزيز سرا وطلب منه الثبات لأنه ـ اي العادل ـ شعر ان الأفضل لن يسلمه دمشق وأخفقت الحملة وعاد الأفضل الى دمشق ، وبسرعة ازداد السخط عليه فيها ، وهنا وجد العادل أن الظروف باتت مواتية لعزل الأفضل فذهب الى العزيز عثمان وعقد معه اتفاقية لتحقيق هذا الغرض وفي صيف عام ١١٩٦ م سقطت دمشق للعزيز والعادل وحل العادل محل الأفضل في دمشق ، واخذ العزيز لقب السلطنة وبقيت مصر له .

لقد تركت هذه النزاعات آثارا سلبية على الدولة الأيوبية واثارت رغبة الصليبيين واطماعهم في استرداد بعض القلاع والحصون ، وفي الافادة من الصراعات بعقد اتفاقات جانبية والحصول على تنازلات من أمراء بني أيوب .

وفي عام ١١٩٢ م توفي العزيز صاحب مصر وكان ابنه الأكبر محمد في العاشرة من عمره ، لذا جرى استدعاء العادل الى مصر من قبل بعض الأمراء لكن أمراء اخرين استدعوا الأفضل من حوران وسلموه شؤون مصر ، وإثر هذا اتفق الأفضل مع أخيه الملك الظاهر غازي صاحب حلب بالعمل ضد عمهما وانتزاع دمشق منه ، وحوصرت دمشق من قبل جيوش الأفضل والظاهر ، وفي أثناء ذلك الحصار استطاع العادل استغلال سوء تدبير الأخوين فأوقع الخلاف بينهما ، واشترى ذمم عدد من افراد جيشهما فاضطر الأفضل للعودة الى مصر ، والظاهر الى حلب ، ولم يترك الملك

العادل الأفضل يعود بسلام بل لاحقه الى مصر وتمكن من انتزاع القاهرة منه ، وفي سنة ١٢٠٠ م استبد العادل بملك مصر وصار اقوى رجالات البيت الأيوبي ، حيث تمكن بعد فترة من انتزاع الاعتراف بسيادته من ابناء اخيه ، ونجح العادل في توحيد اجزاء كبيرة من الدولة الأيوبية من جديد ، وحين أعاد تنظيم الدولة استعان بابنائه كما فعل صلاح الدين من قبله (٤) . لذلك كانت هذه الوحدة مؤقته ترتبط ببقاء العادل على قيد الحياة .

وازداد في هده الآونة نشاط الحملات حيث كانت الحملة الرابعة التي استولت على القسطنطينية ، ثم حملة الأطفال سنة ١٢١٢ م ، والحملة الهنغارية سنة ١٢١٧ م ، وحملة جنادي برين الكبرى ضد مصر سنة ١٢١٨ م ، ثم الحملة الصليبية الخامسة واخفقت هذه الحملات جميعا .

وحين جاءت الحملة الصليبية السادسة بقيادة فريدريك الثاني كان التمزق الأيوبي والصراع الداخلي على أشده ، لذلك استطاع فريدريك على الرغم من حرمانه كذسيا ومن قلة أعوانه استعادة بيت المقدس من الأيوبيين سلما فدخلها في ١٧ آذار ١١٢٩ م وتوج فيها ملكا على القدس ، ثم مالبث ان اخذ طريق العودة الى اوربا .

في هذه الأثناء كانت الأوضاع السياسية في المشرق العربي الاسلامي قد شهدت تطورات كبيرة بسبب ظهور المغول على مسرح الأحداث ونتيجة للأعمال التوسعية التي قام بها جنكيزخان ، فقد استولى جنكيزخان فيما استولى عليه على دولة خوارزم شاه ، وجاء نحو اطراف الدولة الأيوبية فلول الجيوش الخوارزمية ، وعلى رأسهم السلطان جلال الدين منكبرتي ، ولم يكن الخوارزمية أقل عنفا ووحشية من المغول انفسهم وقد هددوا اراضي الدولة العباسية والممتلكات الأيوبية في أعمال الجزيرة وارمينية ، وخلال الفوضى والاضطراب قتل جلال الدين منكبرتي وتشتت قوات الخوارزمية ودخل بعضها الشام كمرتزقة ، وباتت

معظم السبل مفتوحة أمام المغول للتقدم نحو العراق والجزيرة والشام .

لقد استخدم أمراء بني ايوب الخوارزمية في حروبهم وصراعاتهم على السلطة ، ودون الدخول في تفاصيل هذه الصراعات المدمرة ، يكفي ان نشير الى ان الصالح ايوب تمكن بمساعدة الخوارزمية من استرداد القدس (٥) ،مما أثار قيام الحملة الصليبية السابعة بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا ، وجاءت الحملة الفرنسية تريد مصر ،وحققت في البداية بعض النجاحات لكنها اخفقت وفي اثناء التصدي لها توفي الصالح ايوب (٦) وكان حدث وفاته نقطة تحول سياسي كبير في تاريخ مصر وبلاد الشام تحتاج الى وقفة متأنية بعض الشئ لأنها خطت بداية النهاية ، نهاية الحكم الايوبي وقيام الحكم المملوكي ، هذا ويلاحظ أن الصراعات بين امراء بني ايوب قد انعكست على أوضاع بلاد الشام ومصر فأضرت بالاقتصاد وسببت هزات اجتماعية متوالية كما انها افقدت الأيوبيين الاحترام الذي حققه صلاح الدين لهم .

كانت الدولة التي اسسها صلاح الدين قد تبنت ايامه نظام الاقطاع العسكري وقد ساعد هذا النظام على زيادة التمزقات وتعميقها بعد صلاح الدين ، وبالنظر لاستمرار الصراعات الداخلية بين افراد البيت الأيوبي ولعدم توقف التهديدات الصادرة عن الفرنجة وسواهم اضطر أمراء بني ايوب الى زيادة حجم جيوشهم عن طريق الرقيق الأبيض وعن طريق المرتزقة ، وكان جل الرقيق الأبيض الذي استخدم في جيوش المشرق العربي من أصل تركي .

لقد كان ايضا من جملة النتائج التي نجمت عن الحروب الصليبية ان بلاد الشام ومصر قد شهدتا تطورا كبيرا في ميادين الفنون العسكرية من تسليح وتدريب حيث تحول العمل العسكري الى احتراف خضع لقواعد خاصة للتدريب والترقي في المراتب ، والمستعرض لتاريخ الجنود من أصل تركي منذ أيام

المعتصم بالله العباسي يرى أن الغلمان الأتراك مـا أن ملكوا القـوة العسكرية حتى تطلعوا نحـو السـلطة فتمـرد بعضـهم على أسياده . وسعى بعضهم الى التحكم بالخلافة وظلت سـمة التـطلع نحو السلطة ملازمة للعسكريين المسلمين ، حتـى أن صـلاح الدين نفسه كان من هذا الصنف ، فهو ما أن صار سيد مصر حتـى أخـذ يوسع ملكه ، ومعارك صلاح الدين الداخلية أكبر عددا من معـاركه ضد الفرنجة ، ولايعنينا هذا الموضوع بقـدر أن نخلص الى مـاقاله البـاحثون مـن أن الملك الصـالح ايوب(٦٣٧ هـ ـ ٦٤٧ هـ / ١٢٤٠ ـ ١٢٤٩ م) قد أكثر بعدما تسلم عرش مصر من شراء المماليك الأتـراك واعتنى بهـم عناية لم يفعلها غيره من أهل بيته وأباح لهم عمل كل شئ ارادوه فاعتدوا على أموال الناس وأنفسـهم ممـا كاد يؤدي الى الثـورة ضـده في القاهرة ، فاضطر الى بناء قلعة خاصة بمماليكه وبه ، بناها وسط جزيرة الروضة على بحر النيل ، ومـن هنا عرف المـماليك الأوائل باسم المماليك البحرية الصالحية(٧) .

ويرتبط وصول المماليك البحرية الى السلطة بتعرض مصر لهجوم قوات الحملة الصليبية السـابعة بقيادة لويس التـاسع (القـديس لويس) ملك فرنسا ، وتـرتبط هـذه الحملة بـأهداف الصـليبيين الأساسية في الاسـتيلاء على فلسـطين واسـتعادة القـدس المحررة ، ولكن لم توجهت ضد مصر ولم تقدم الى الأراضي المقـدسة مباشرة ؟

لهذا تعليلات كثيرة ، ارتبط أهمها بالدور القيادي الذي شـغلته مصر منذ أيام صلاح الدين الأيوبي كما يلاحـظ انه انأكان تحـرير القدس من قبل صلاح الدين سنة ٥٨٣ هـ ـ ١١٨٧ م هـو الذي اثار الحملة الصليبية الثالثة فإن تحريرها ثانية(٨) من قبل الصـالح نجم الدين سنة ٦٤٢ هـ ـ ١٢٤٤ م هـو الذي سـبب قيام الحملة السابعة وقدومها الى مصر .

وهناك خـلاف واضـح بين وقـائع هـاتين الحملتين

ونتائجهما ، والذي يعنينا منهما هو أن نذكر انه نتج عن الحملة الثالثة ، فيما نتج ، استيلاء الصليبيين على مدينة عكا ومن ثم اعادة احياء مملكة القدس ، وغدت عكا عاصمة لهذه المملكة ، وبعد وفاة صلاح الدين وبسبب نشوب الخلافات الشديدة بين امراء الأسرة الأيوبية وسع الفرنجة رقعة ممتلكاتهم وباتوا يتحكمون بجزء كبير من الساحل الشامي امتد من عسقلان في الجنوب الى مابعد طرابلس في الشمال مع مناطق في الداخل تمثلت ببلدة صفد والمنطقة القائمة بينها وبين عكا . وفي سنة ٦٢٦ هـ ـ ١٢٢٩ م تسلم الامبراطور فريدريك الثاني من الملك الكامل الأيوبي القدس وبيت لحم والناصرة . وكان هذا الحدث من محصلات الحملة الصليبية السادسة وتم نتيجة لحنكة الامبراطور السياسية ولم يرتكز على قوة السلاح .

وبعد تحرير القدس من قبل الصالح أيوب تحفز الغرب وأعد حملة جديدة هي السابعة ، وقاد هذه الحملة القديس لويس ، ووجهها ضد مصر ، مقدرا انه اذا ماتمكن من قهر هذه البلاد سهل عليه استرداد فلسطين ، وفي حزيران ـ من عام ٦٤٧ هـ ـ ١٢٤٩ م تمكنت الحملة الصليبية من احتلال دمياط ، وكان الملك الصالح مريضا ، وقد توفي في تلك الأثناء ، مما شجع الملك الفرنسي على اتخاذ قرار الزحف نحو القاهرة ، وادى هذا الى إخفاق الغزاة ووقوع الملك وجيشه في الأسر في عام ٦٤٨ هـ ـ ١٢٥٠ م(٩) .

قام بإدارة الأمور في تلك الأونة شجر الدر أرملة الصالح أيوب ، وتم استدعاء توراندشاه بن الصالح ايوب ، لكن هذا السلطان الجديد أخفق في مهمته ، ومن ثم اغتيل من قبل قادة مماليك ابيه يوم ٧ محرم ٦٤٨ هـ / ٢ ايار ـ ١٢٥٠ م وبمقتله انتهى الحكم الأيوبي لمصر وتأسست سلطنة المماليك(١٠) .

وتسلم السلطة أولا شجرة الدر ، ثم مالبثت أن اختير لها عز الدين أيبك من أمراء المماليك زوجا ، ومن ثم سلطانا (١١) وفي مدة

سلطنتها التي دامت ثمانين يوما تم الاتفاق مع الملك الفرنسي ، فأطلق سراحه ، فتوجه نحو عكا حيث استقر بها مدة اربع سنوات (١٢).

ونجم عن تسلم المماليك للسلطة في مصر نتائج داخلية خطيرة وردات فعل خارجية شديدة ، فقد رفض الحكام الأيوبيون في الشام الاقرار بالوضع الجديد ، وحدثت صراعات دموية بين أمراء المماليك اضطرت عددا كبيرا منهم إلى ترك مصر والتوجه إلى الشام حيث نشطوا فيها كمرتزقة ، وحاول لويس التاسع استغلال الأوضاع المضطربة (١٣) .

تسلم الملك الفرنسي مسؤوليات الحكم في عكا ، وبات سيد ما عرف باسم مملكة القدس ، في الوقت الذي راسل فيه فرنسا وبلدان اوروبا لاثارة حملة صليبية جديدة ، ونشط محليا عن طريق استغلال الصراع الأيوبي المملوكي ، وتقوية دفاعات الممتلكات الصليبية ، وشهدت الفترة التي اقام خلالها الملك لويس ذروة اعمال التحصين الفرنجية في المشرق عامة وفي فلسطين خاصة ، وانتجت نماذج من الحصون والقلاع تمتعت بقدرات دفاعية هائلة ، كما أن المدن وخاصة عكا عززت دفاعاتها واسوارها . فقد ملكت المدينة سورا مضاعفا الآن ، تخفره مجموعة من الأبراج امتدت على طوله ، وزودت الأسوار والأبراج بوسائط لرمي النشاب وسواه ، ومتنت بوابات المدن والقلاع ، وحفرت الخنادق حول الأسوار ، كما جهزت المرافىء بمنشآت دفاعية خاصة ، وزود مدخل ميناء عكا بعدد من الأبراج الدفاعية التي مدت بينها السلاسل(١٤).

كانت عكا انذاك مقامة على نشز من الأرض مثلث الشكل ، أطل ضلعان منه على البحر وقام الثالث على سهل يبلغ اتساعه قرابة ستة أميال في أوسع جهاته ، وكان هذا السهل عظيم الخصوبة فيه بساتين وكروم وحقول ومراع للمواشي (١٥) .

وجعل موقع عكا المتوسطي منها سوقا تجارية دولية ، كانت ترد

اليها البضائع من الشرق الاسلامي ومن الموصل ودمشق وحلب ومصر ، وكانت تقيم فيها جاليات تجارية اسلامية واخرى مثلت جمهوريات ايطاليا التجارية وخاصة البندقية وبيزا وجنوا (١٦) .

وبعدما استولى المماليك على السلطة في القاهرة انتهز الملك الناصر يوسف ، صاحب حلب وحفيد صلاح الدين الأيوبي الفرصة ، فاستولى على دمشق ، فأصبح سيد معظم أجزاء بلاد الشام ، وقد عقد العزم على الزحف على القاهرة للاستيلاء عليها وإحياء ملك اله فيها (١٧) .

وأعتقد الناصر أن عليه التحالف مع الملك لويس ، فراسله عارضا التعاون معه للانتقام من المماليك مقابل إعطائه مدينة القدس التي كانت تحت أمرته ، وكان هذا العرض مغريا جدا ، فيه تحقيق للهدف الذي قدم الملك الفرنسي من أجله إلى الشرق وفيه انتقام للهزيمة وللعار الذي لحق به نتيجة أسره .

لكن من الذي كان يضمن النجاح في هذه المهمة ويضمن الوفاء بالعهد أيضا ، أضف إلى هذا ان ما ملكه لويس انذاك من قوات عسكرية ضاربة كان قليل العدد والامكانات ، وكان لا يزال في مصر ما يزيد على اثني عشر الف أسير من جنده .

وعلم عز الدين أيبك بأنباء هذه العروض والاتصالات فبعث إلى الملك الفرنسي يتهدده بقتل الأسرى جميعا ، وعرض عليه في الوقت نفسه تعديل شروط معاهدة دمياط التي أطلق بموجبها سراحه وذلك بالتنازل له عن أموال الفدية المتبقية عليه .

ودرس لويس الموقف من مختلف الوجوه ، فوجد أن المنطق يفرض عليه البقاء على الحياد ، لذلك أرسل سفارة إلى الملك الناصر أعلمه فيها أنه طلب من أمراء مصر تعديل المعاهدة التي عقدها معهم والتعويض عليه وأنهم إذا ما رفضوا فسيقف إلى جانبه ، وترك لويس بهذا الرد الباب مفتوحا لاتصالات مستقبلية مع

الناصر ، ووقف يرقب الصراع من حوله ويعد العدة للافادة منه(١٨)

وتبعا لجوانفيل الذي أرخ لحياة لويس وكان بصحبته ، بعث الملك الفرنسي وفدا إلى مصر عرض على سلطاتها موقف لويس ومطالبه ، ونجح الوفد في مهمته وأطلق المماليك سراح مائتين من الفرسان الأسرى لديهم مع ما يقارب الف مقاتل من أصحاب الرتب الأدنى ، وبعثوا برسل من عندهم للاجتماع مع الملك الفرنسي وبحث شروط تحالف معه . وزاد لويس من مطالبه واستجيب له واستمرت المفاوضات بين الطرفين ولم تنقطع .

وربح لويس وازداد حجم قواته العسكرية(١٩) ، وفقد الناصر يوسف الأمل في التحالف معه فقاد قواته يريد القاهرة ، وسارع أيبك الى لقائه ، وأقدم قبل ذلك على هدم مدينة دمياط ، وفي ١٠ ذي القعدة ٦٢٨ هـ/ شباط ـ ٢٥١ م التحمت القوات المملوكية بالقوات الأيوبية عند بلدة العباسية بين بلبيس والصالحية ، وانجلى القتال عن هزيمة الأيوبيين وتراجعهم نحو دمشق (٢٠) ، وقام أيبك بعد فترة وجيزة بارسال وحدة من قواته استولت على غزة.

واغتنم الملك لويس انشغال المسلمين بصراعاتهم فتوجه نحو بلدة قيسارية فأعاد تحصينها. فاستؤنف أثناء ذلك المفاوضات بينه وبين أمراء المماليك وتمخضت عن ابرام معاهدة جديدة بينهما في ربيع الأول ٦٥٠ هـ /أيار ١٢٥٢ م ، وقد حدثنا عنها جوانفيل بقوله:« وبينما كان الملك يقوم بتحصين قيسارية عاد رسله من مصر جالبين معهم معاهدة أبرمت وفقا للشروط التي وضعها جلالته وقضت المعاهدة بين الملك والأمراء بأن يتوجه الى يافا في موعد محدد ، بينما يذهبون هم الى غزة في اليوم نفسه ، وقد أقسموا على تسليمه مملكة القدس ، وأقسم الملك ورجالات جيشه على تنفيذ المعاهدة ، وكان معنى هذا اننا ارتبطنا بوعد تقديم المساعدة للأمراء ضد سلطان دمشق.

وتنفيذا لهذا الاتفاق تقدم الملك لويس نحو يافا فاحتلها ، وكان

أيبك قد بعث بقواته لاحتلال غزة ، وعلم الناصر يوسف بأخبار هذا التحالف فبادر إلى إرسال قواته نحو غزة فاحتلها وعسكرت فيها وبذلك حالت دون قيام أي اتصال بين الفرنجة والمماليك . وخرجت قوات المماليك من القاهرة لكنها لم تتجرا على التقدم نحو غزة ، وبذلك أخفقت خطط المتحالفين وتجمد الوضع قرابة عامين . وتدخلت الخلافة العباسية بين الطرفين الشامي والمصري ، وأمكن في صفر ٦٥١ هـ / نيسان ١٢٥٣ م عقد صلح بينهما ، اعترف الناصر بموجبه بالحكم المملوكي في القاهرة وتنازل لهذا الحكم عن غزة والقدس ونابلس (٢٣) .

وكان الخاسر في هذه الجولة الملك لويس ، ثم إن المماليك لم يتمكنوا من استغلال ما منحهم الاتفاق من فرص حيث تورطوا في نزاع داخلي على السلطة أودى بحياة شجر الدر وعز الدين ايبك وعدد من الأمراء الكبار ، ونشط الملك لويس قليلا ثم قام أخيرا في نيسان ١٢٥٤ م بمغادرة الأراضي المقدسة وذلك بعدما يئس من وصول حملة جديدة من أوربا ، وبعدما بلغه وفاة والدته في فرنسا ، وهي التي كانت تتولى إدارة الأمور في غيابه (٢٤) .

قد يرى بعض الباحثين أن ما حدث حتى الآن قد مهد السبيل أمام المماليك للسيطرة على بلاد الشام وفي مقدمتها فلسطين ، وقبل معالجة هذا الرأي لا بد من سؤال هو : هل كانت السلطات المملوكية ترغب بالاستيلاء على فلسطين ومجمل بلاد الشام ؟ ليس هنالك ما يفيد بالايجاب في كل ما حوته مصادرنا من معلومات . هذا ولا يجوز لنا أن نذهب إلى الافتراض أن المماليك كانوا لا بد وأن يسيروا على هدي حكام مصر المستقلة السالفين في سياستهم الخارجية تجاه بلاد الشام. وسبب هذا أننا لايمكن أن نتحدث عن وجود سياسة خارجية مرسومة لدى المماليك ، بل كان هنالك ردات فعل تجاه الوقائع والأحداث ، ثم إن المماليك لم يعرفوا الحكم المستقر ولم تتوفر لديهم البيروقراطية المستقرة ، بل كان هنالك انقلابات مستمرة وحركات عصيان متواصلة ومؤامرات دائمة. أضف الى

هذا أن امراء المماليك ورجالاتهم لم يتحرروا من عقدة الرق ، وكان حكام الشام يملكون الاعتراف الشرعي (٣٥) .

ودخلت بلاد الشام في ظل الحكم المملوكي بفضل أحداث غزو خارجي ، وهو الغزو المغولي ، ولهذا الغزو ولصده علاقة مباشرة ببلاد الشام ، وقبل أن ندخل بتفاصيله من المفيد أن نذكر أن الحكم المملوكي قد مر بطورين ، عرف الأول منهما بالطور التركي والثاني بالطور الشركسي ، وقد ارتبطت بداية كل طور منهما بغزو مغولي كبير .

ليس المقام هنا الحديث عن المغول وتأسيس امبراطوريتهم (٣٦) ، ويهمنا أن نذكر أنه عندما وصلت أخبار ظهور جنكيزخان إلى أوربا ظنته مسيحيا وخيل إليها أنه المخلص القادم من المشرق ، ولهذا جرت اتصالات بين المغول ومختلف قوى أوروبا ومحاولات للتحالف . وتطلع الفرنجة في الشام بآمال عظيمة إلى أخبار الحملات المغولية ضد بلدان العالم الاسلامي في المشرق . وعندما زحف هولاكو حفيد جنكيزخان نحو بغداد رأوا فيه ـ مع أنه كان بوذيا كما هو المرجح ـ « داود الهندي » الذي سيتمكن من استرداد القدس من المسلمين وبناء أسوارها « بحجارة من ذهب وفضة ».

في سنة ٦٥٦ هـ ـ ١٢٥٨ م استولى هولاكو على بغداد وازال الخلافة العباسية من الوجود ، ووجه ضربة قاتلة إلى الحضارة العربية وإلى تراثها المجيد ، ولهذا خيل للمسلمين « أن العالم على وشك الانحلال وأن الساعة آتية عن قريب ». وتابع المغول زحفهم نحو بلاد الشام فاستولوا على حلب في صفر ٢٥٨ هـ / كانون الثاني ـ ١٢٦٠ م ، ثم قصدوا دمشق وكانت قد اجتمعت فيها قوة كبيرة للناصر يوسف صاحبها ، ومع ذلك عجز هذا الأمير الأيوبي عن الصمود وتراجع نحو غزة وعسكر فيها ، واستولى المغول على دمشق في ربيع الأول ٦٥٨ هـ / آذار ـ ١٢٦٠ م ، واخذوا يعدون العدة للزحف نحو مصر .

وكان تسلم السلطنة في القاهرة الأمير قطز ، وهو مملوك قيل إنه من أصل خوارزمي وانه يمت بصلة القرابة لأسرتها الحاكمة التى حاولت التصدي للمغول . فتراسل قطز مع الناصر يوسف ، والأهم من ذلك أنه وجد الفرصة لاعادة توحيد قوى المماليك جميعها وذلك بعدما انضم إليه بيبرس البندقداري قادما من الشام .

ولم يطل مكوث الناصر في غزة ، فقد تخلت عنه عساكره فعاد نحو الشام ، فألقى المغول القبض عليه وحملوه إلى هولاكو الذي احتفظ به ووعده بإعادة ملك أبائه إليه ، وبالفعل انضم عدد من بقايا الأيوبيين إلى المغول .

لقد ملك المغول طاقات قتالية هائلة ، وتأثرت طرائقهم بالقتال واسلحتهم بطرائق الصين وأسلحتها . وكانت خبرة المسلمين إزاء هذه الطرائق شبه منعدمة ،هذا ، وكان المغول قد احتلوا في تلك الآونة روسيا ، وقام أمراء المغول هناك وهم من « القبيلة الذهبية » باعتناق الاسلام ، ولهذا عارض زعيمها « بركة خان » اعمال هولاكو ودخوله بغداد وقامت اتصالات بين المماليك والقبيلة الذهبية الى حد أن بعض الروايات تذهب إلى القول إن مساعدات رمزية كانت وصلت منها الى مصر واشتركت في الحرب ضد مغول هولاكو ، وإذا صح هذا فإن معناه حصول المماليك على بعض المعلومات العسكرية عن فنون القتال لدى المغول .

ويلاحظ أن الجيش المملوكي وإن لم يكن عظيم الحجم كان جيشا محترفا بكل ما تعنية هذه الكلمة سواء من حيث التسليح أو التدريب والمقدرة السوقية والبراعة في المناورة والتكتيك الحربي .لقد كان الجيش المملوكي أفضل جيش مدرب في عالم عصره ، لهذا عندما توحدت قطعاته لم يكن غريبا أن يهزم جيوش المغول التي قهرت العالم اجمع ولم تذق طعم الهزيمة من قبل .

وقرر هولاكو عدم الاكتفاء بدمشق ، وأن تتابع قواته فتحتل أولا القدس ثم تتابع سيرها نحو مصر ، ويشار هنا انه فضلا عن

الصلات المغولية مع الصليبيين والأوروبيين ، كانت نساء بلاط هولاكو البارزات مسيحيات حسب العقيدة النسطورية وكان لهن مكانتهن ونفوذهن العظيم عليه .

وبعث هولاكو برسالة قاسية إلى قطز تهدده فيها وتوعده ، ورد قطز عليه بقتل رسله وإعلان تصميمه على لقاء المغول . وواجه في هذا السبيل بعض المصاعب الداخلية ، لكنه استطاع أن يذللها وحشد قواته وبعث طلائعه نحو غزة بقيادة بيبرس البندقداري ، واصطدم بيبرس بطلائع المغول عند غزة فناوشها وهزمها واشتبك مع قوى المغول المتقدمة لمدة أيام وكان لهذه الاشتباكات اهمية عالية جدا فقد أفادت من الجانب المعنوي ، وكانت بمثابة استطلاع قتالي مباشر واختبار لقدرات العدو وخططه من جميع الجوانب ، زد على هذا أنها موهت عليه وقدمت تغطية كاملة لتحركات قطعات الجيش الرئيسية بقيادة قطز ، فقد سلكت هذه القطعات الطريق الساحلي ، وعرجت أولا على عكا لاستطلاع موقف الفرنجة فيها .

وكان الفرنجة انذاك يعيشون في أوضاع محرجة ، الخلافات الداخلية على أشدها بين طوائفهم ومنظماتهم ، وكانوا يدركون أنه ليس بإمكانهم القيام بدور فعال ، لذلك اخبروا المماليك بوقوفهم على الحياد .

وفي هذه الأثناء اضطر هولاكو إلى مغادرة بلاد الشام والعودة نحو العراق ومن ثم إلى خراسان ، حيث بلغه وفاة خان المغول وكان يطمح في أن يجري اختياره خليفة له.

ولم يضعف ذهابه قوة المغول ، وقد ناب عنه القائد كتبغانوين ، وزحفت قوات المغول وكانت تزيد على الثلاثين الف فارس وعندما وصلت إلى نهر الأردن قام بعض المسلمين الموجودين معها بإرسال رسل إلى المماليك بالمعلومات والتشجيع والوعد بالتخلي عن المغول اثناء القتال ، فقد تحدث صارم الدين

أزبك ، وكان مملوكا ايوبيا قد دخل في خدمة هولاكو قال :

« لما قدمت الشـــام ، وجـــدت التتـــار مجتمعين على نهـــر الأردن ، وقد خرجوا قاصدين الديار المصرية ، وقد خرج المسلمون للقائهم ، فلما علمت أن التتار لا بد لهم مـــن الديار المصرية بعثـت غلاما لي في صفة جاسوس ، وأمرته أن يجتمع بالملك المظفـر قـطز والأمير بيبرس البندقـداري ، وبلبـــان الرشـــيدي ، وســـنقر الرومي ، ويعرفهم أن التتار لا شيء فلا تخافوا منهـم ، وأن تـكون ميسرة المســلمين قـوية بـالخيل والرجـــال...وأوصيته أن يراعي المسلمون أن يكون الملتقى عند طلوع الشمس ».

وقام المماليك باستطلاع الأرض وقرروا ان يكون اللقاء في منطقة عين جالوت بين بيســان ونابلس ، بين نهـري جلبـوع وجـــالوت مستفيدين من المستنقعات التي كانت موجودة على الجانبين.

اعتمدت خطط المسلمين فـيما سبق في حروبهم ضد الفرنجة على نظام فصل اسلحة العدو عن بعضـها والايقـاع بـكل منهـــا على انفراد ،لكن الوضع كان مختلفا الآن . فقد كان المغول من الفـرسان الخفاف ، سلاحهم الرئيسي القوس والنشاب ـ حسب عادات بداة سهوب اواسط اسيا ـ يقاتلون عن بعد ويضر بهم الالتحام والقتال القريب ، وقد اعتادوا فقـط على الهجمـات السريعـــة والقتـــال الخاطف . ولهذا قامت خطة المماليك على اعتمـاد مبـدأ الدفـاع المتحرك ، واستهدفوا احتواء الهجوم المغولي وتدميره .

ولهذا صفوا قواتهم التي لعلها لم تتجاوز الثلاثين الفا بصـفوف طويلة واجبروا المغول على الهجوم الجبهوي بعد اشـتباكات دامـت عدة أيام ، وفي يوم الجمعة ٢٥ رمضان ٦٥٨ هـ / ٦ أيلول ـ ١٢٦٠ م أمكن احتواء الهجوم المغولي ، وتطويق المهاجمين وتدميرهـم ، فقـد حرى قتل كتبغا نوين وعدد كبير من قـادة المغـول وجـرت اعمـال مطاردة كاملة (٢٧) .

وقبل الحديث عن نتائج هذه المعركة الكبرى لابد من الاشارة الى انه يستفاد مما اورده المقريزي عن اخبار المعركة أن « أهل القرى من الفلاحين » (٢٨) الفلسطينيين قد شاركوا بشكل فعال ومؤثر في القتال وان اعدادهم كانت كبيرة ، ويضفي هذا على المعركة صبغة خاصة ، ذلك ان الظهير الشعبي حاسم في جميع المعارك .

لقد كانت معركة عين جالوت نقطة تحول عظمى في التاريخ ، اذ انها اوقفت المد المغولي وحولته الى جزر ، وبرهنت ان الاحتراف العسكري المدعوم شعبيا والمستند على الايمان والمتحلي بالعبقرية يمكنه ان يهزم اية قوة مهما بلغ جبروتها . وحفظ نصر عين جالوت مصر وصان الشمال الافريقي وضمن تحرير بلاد الشام وطرد المغول الى ماوراء نهر الفرات ، وهيأ الفرصة للعمل على تصفية الوجود الصليبي في المشرق .

لقد منح هذا النصر القاهرة مكانة الزعامة السياسية ومركز الاشعاع الفكري خاصة بعد دمار بغداد وهجرة العلماء وذوي الاختصاص والحرفيين وسواهم من المشرق الى مصر .

لقد ربح المماليك الشام كلها ، ذلك ان المغول كانوا قد ازالوا الحكم الايوبي ، وهكذا امتد الحكم المملوكي الى الشام بدون معارضة ، وليس من الغلو القول ان دولة المماليك قد ارسيت قواعدها نتيجة للنصر في عين جالوت ، ويعتبر بيبرس البندقداري هو الذي تولى بناء هيكل هذه الدولة ، فقد قام بيبرس بعد انقضاء معركة عين جالوت بفترة وجيزة باغتيال السلطان قطز واحل نفسه محله بلقب الظاهر .

واجمل المؤرخ البعلبكي موسى بن محمد اليونيني ماشهدته بلاد الشام سنة ٦٥٨ هـ - ١٢٦٠ م بقوله :

« في هذه السنة كثر تغير الدول ومتولي الحكم بالشام ، فكان من اول السنة الى نصف صفر في مملكة الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب ، وهو آخر من ملك من بني ايوب رحمهم الله

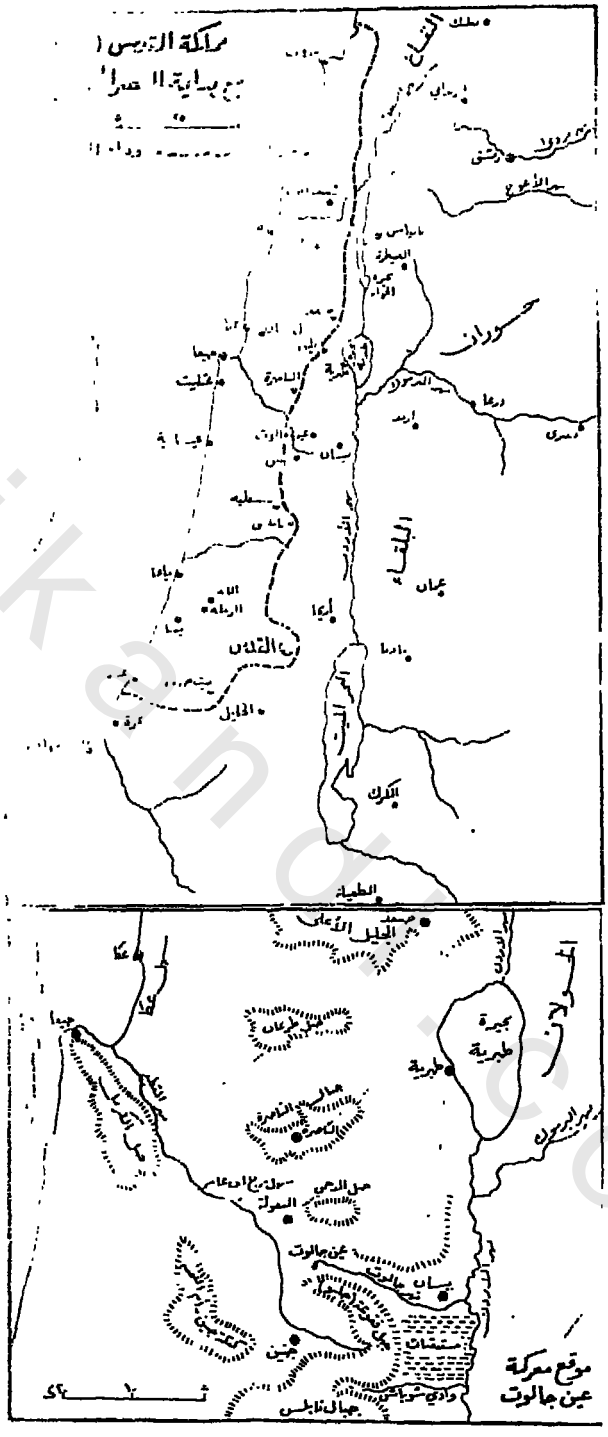
مملكة الروس
مع بداية القرن
دمشق
حوران
الشام
عجلون
السلط
عمان
البلقاء
القدس
الخليل
بيت لحم
الكرك
الطفيلة
الخليل الأعلى
عكا
حيفا
طبرية
بحيرة طبرية
نهر الأردن
الغور
جبل الكرمل
جبل نابلس
جنين
عين جالوت
بيسان
وادي جالوت
جبال نابلس
موقع معركة عين جالوت

وايانا ، ثم صار في مملكة التتار الى الخامس والعشرين من شهر رمضان المعظم ، ثم صار في مملكة المظفر سيف الدين قطز صاحب الديار المصرية الى ان قتل في ذي القعدة ثم صار في مملكة الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري »(٢٩).

وحافظ المماليك على الاوضاع السياسية الموروثة في بلاد الشام ، ذلك انهم لم تكن لديهم سياسة خارجية مصرية مرسومة تجاه بلاد الشام ، بل كانت دولتهم تشبه اتحاد اقطاعيات عسكرية متفاوتة الاحجام ، ويمكن ان ندرك هذا مما قاله اليونيني في وصفه لاحداث سنة ٦٦١ هـ - ١٢٦٣ م « دخلت هذه السنة وليس للناس خليفة ، وسلطان الديار المصرية والشامية والحلبية الى الفرات ، الملك الظاهر ركن الدين بيبرس » ثم اردف واصفا احداث السنة التالية ٦٦٢ هـ - ١٢٦٤ م ، وكان الملك الظاهر قد استولى على الكرك وازال الحكم الايوبي منها واسس خلافة عباسية جديدة ، بقوله :

« دخلت هذه السنة وخليفة المسلمين الامام الحاكم بأمر الله ابو العباس احمد العباسي امير المؤمنين ، وسلطان مصر والكرك والشام السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس »(٣٠).

والمتفحص لاوضاع سلطنة المماليك ايام بيبرس يلاحظ ان هذه السلطنة العسكرية كانت لها ثلاث جبهات رئيسة : واحدة في مصر ، واخرى في دمشق ، وثالثة في حلب . فقد تعرضت مصر للغزو الصليبي برا وبحرا ، وارتبط استيلاء المماليك على السلطة مع وقائع الحملة الصليبية السابعة ، اما دمشق فقد كانت جبهة مواجهة مع بقايا الصليبيين في الشام ، واهم من ذلك مواجهة الخطر المغولي القادم من الشرق ، اما حلب فقد واجهت دولة ارمينية الصغرى (سيس) والخطر المغولي .

لقد اقتضى اشتداد الخطر المغولي ان تتفرغ دمشق للتصدي له ، ودفع هذا السلطان بيبرس الى ايجاد قوة اسلامية تتمكن من

رصد فرنجة عكا والتصدي لهم ، وهكذا اقتضى الحال تحرير صفد واقامة نيابة مملوكية فيها .

ومتتبع اخبار المماليك يجد ان حكمهم لم يعرف الاستقرار ولا ديمومة الولاء والخلاص ، بل ساده الصراع ، وقد نافس حكام الشام سلاطين القاهرة وسعوا الى الاستقلال عنهم او احتلال مناصبهم وتميز تاريخ المماليك بتحالف رجالاتهم مع رجال الدين الاسلامي ، واهتم المماليك اهتماما كبيرا باظهار شدة تمسكهم بالاسلام واحترامهم للاماكن المقدسة واكثارهم من بناء المساجد ومدارس الدين والزوايا.

ويتصدر السلطان الظاهر بيبرس قائمة اسماء سلاطين المماليك الذين تولوا اعمال التحرير . وبيبرس كما هو معروف هو الذي ارسى قواعد السلطنة المملوكية ونظم شؤونها جميعا ، وقد اعتلى العرش اثر معركة عين جالوت ، وكان ذلك بعد اغتياله لقطز ، وفعل الظاهر بيبرس مافعله معتمدا على نفسه ، وبلغ غرضه بمفرده ، وذلك بين العساكر العظيمة والاحتراز الشديد ، وماقدر احد ان يتكلم ، ولاجسر ان يمد يده اليه » .

وتسلم بيبرس السلطة في القاهرة ، وواجه في البداية عددا من الثورات واعمال المعارضة في القاهرة ودمشق . واستطاع بسرعة وحزم ان يقضي عليها جميعا ، فالتفت الى الجوانب التنظيمية والادارية ، ولعل اهم ماقام به في هذا المجال هو بعث الخلافة العباسية واعادة تأسيسها في القاهرة (٣١) .

كان الحكم المملوكي الجديد بحاجة الى الشرعية ومثل هذه الشرعية كان بإمكان الخلفاء وحدهم منحها . ونحن وان كنا لانجد المكان مناسبا للحديث عن تطور السلطة لدى العباسيين ، الا انه من المفيد ان نبين ان الظاهر بيبرس قد تمسك بمفهوم السلطة الموروث عن السلطنة السلجوقية ، فقد كان مثل السلاجقة ، من اصل تركي .

وكان السلاجقة بعدما استولوا على بغداد واقاموا دولتهم العظمى قد احدثوا تغييرا في مفهوم السلطة ، فهم لم يتحكموا بالخلفاء العباسيين كما فعل رجالات بني بويه قبلهم بل اعتمدوا مبدا ازدواجية السلطة ، وهو مبدا تركي متوارث ،وتبعا لهذا المفهوم كان يتولى رئاسة الدولة رجل عرف باسم الخاقان لايملك اية صلاحيات بل كانت رئاسته اسمية ، والى جانبه يتولى مباشرة السلطة ال « بك » وغالبا ماكانت وظيفته عسكرية . ويلاحظ بالنسبة لتاريخ سلاطين السلاجقة والمماليك ان السمة العسكرية قد غلبت عليهم .

كما يلاحظ انه في زمن السلاجقة جرى توسيع قواعد نظام الاقطاع العسكري . ونتيجة لسياستهم الدينية عظم شأن علماء الدين السنة ودورهم الى حد يمكننا فيه الحديث عن قيام اقطاع ديني تحالف وتعاون مع الاقطاع العسكري . وكان لرجال الدين دور خطير جدا في ايام الحكم المملوكي وغالبا ماقاموا بالوساطة بين المماليك وطوائف المجتمع على اختلافها (٣٢) .

توجه السلطان الظاهر بيبرس نحو دمشق في العا م التالي لتوليه السلطنة ٦٥٩ هـ ـ ١٢٦١ م ، ويبدو انه سلك الطريق الساحلي مستطلعا اوضاع المنطقة الساحلية وضاغطا على الصليبيين هناك ،وفي طريقه جاءه كونت يافا فأكرمه السلطان وكتب له منشورا ببلاده ، ورده سالما الى مدينته . وفي دمشق « حضر رسول من جهة عكا يسأله امانا للرسل المتوجهين من البيوت (الداوية والاسبتارية) كلها فكتب الى والي بانياس بتمكينهم ، فحضر اكابر الفرنج والتمسوا الصلح ، فوقف السلطان عليهم ، وطلب منهم امورا كثيرة ، فلما امتنعوا زجرهم السلطان واهانهم » . ثم تقررت الهدنة مع تبادل الاسرى ورفع المقاطعة الاقتصادية (٣٣).

ويلاحظ في هذا المقام ان مؤسسات الفرنجة السياسية والعسكرية في الشام تصرفت في بداية العصر المملوكي وكأنها جزء من المنظومة السياسية الشامية المحلية ، وان بيبرس شعر ان

المخاطر العظيمة على سيطرته على بلاد الشام ليست صادرة عن الفرنجة بل عن امارة الكرك ، التي ماتزال تحت الحكم الايوبي ، ومازال حاكمها يطمع بسلطنة القاهرة . ولهذا اتخذ الظاهر بيبرس قراره بالاستيلاء على الكرك ، وكان يحتاج حتى يتمكن من انجاز هذا العمل حماية ظهره من مخاطر المغول ، ولهذا جهز حملة عسكرية بعثها نحو العراق تحت لواء احد الناجين العباسيين وبايعه بيبرس بالخلافة وقد حمل لقب المستنصر بالله وقيل ان اسمه « ابو القاسم احمد بن الامام الظاهر »(٣٤) .

وماان فرغ بيبرس من هذه الاعمال حتى بادر بالعمل ضد امارة الكرك فاستولى اولا في هذه السنة نفسها ٦٥٩ هـ ـ ١٢٦١ م على قلعة الشوبك ثم شرع يتدبر امور الكرك وكانت من امنع القلاع في بلاد الشام ، فتمكن ببراعة مطلقة من الاستيلاء عليها في سنة ٦٦١ هـ ـ ١٢٦٣ م (٣٥) وبذلك ازال الوجود الأيوبي من جنوبي بلاد الشام ، وبات من الممكن التفرغ للعمل ضد الصليبيين.

وادام السلطان اثناء عمله ضد الكرك الاتصالات الدبلوماسية مع الصليبيين .

« ولم تزل رسلهم في هذا ومثله إلى فرغ السلطان من شغله الذي كان في نفسه ، وهو حديث الكرك ».

وما إن انتهى منه حتى زحف على رأس جيوشه الى قلب الأراضي والممتلكات الصليبية ، واستقبل اثناء ذلك رسل مؤسسات الفرنجة الذين عرضوا عليه التمسك باتفاقات الهدنة فرفض ، وبعدما بين لهم الأحوال التي لم يتمسكوا بها بشروط الهدنة اوضح لهم عن مقاصده وشروطه بقوله :

« انتم في أيام الصالح إسماعيل أخذتم صفد والشقيف على انكم تنجدونه على السلطان الشهيد الملك الصالح (ايوب)... وبالجملة فأنتم أخذتم هذه البلاد من الصالح اسماعيل لاعانة مملكة الشام وغيرها لي ، وما انا محتاج الى نصرتكم ولا الى نجدتكم ، فتردون

ما أخذتم للاسلام بهذا الطريق ، وتفكون أسرى المسلمين جميعهم ، وغير ذلك الا قبله» (٣٦) ، ثم أمر بطرد الرسل ورسم بهدم كنيسة الناصرة ،« وهي أكبر مواطن العبادة التي لهم ، ويقولون منها خر ٠ دين النصرانية..(ووجه من) هدمها الى الأرض ، فلم يجسر أحد من سائر الفرنجة أن يخرج من باب عكا»(٣٧) .

وسبب ذلك انه أرسل قطعة كبيرة من جنده للاغارة على عكا ، ثم اتبع بيبرس ذلك بقيامه في يوم ٤ جمادى الآخرة ٦٦١ هـ / ١٥ نيسان ١٢٦٣ م بالزحف ضد عكا ، « ولم يزل سائقا الى أن طاف بها من جهة البحر ، وسير جماعة الى برج كان قريبا منها فيه جماعة فحاصره ، وللوقت أحدثت فيه النقوب ، وكان توجه السلطان اليها في هذه الجماعة إنما هو لكشفها » ، وكان الفرنج « قد حفروا خنادق حول تل الفضول وجعلوها معاثر في الطريق ، وبسرعة متناهية تمكن جند بيبرس من ردم الخنادق وطلع الناس الى تل الفضول ، وانهزمت الفرنج الى المدينة ، وحرق الناس ما حول عكا من الأبراج والأسوار وقطعوا الأشجار وحرقوا الثمار » ، وحاول بيبرس اقتحام المدينة فأخفق ، وبعد قيام جيشه بعده هجمات أمره بالانسحاب ، حيث توجه نحو الكرك ومن هنالك عاد الى القاهرة (٣٨) .

ويبدو أن أهداف بيبرس في حملته هذه كانت أكبر من ايقاع الضرر بالفرنجة أو استعراض قواه أمامهم وفرض هيبته عليهم ، ولا حتى مجرد الاستطلاع والتعرف على طبيعة المنطقة . لقد أراد بيبرس احتلال عكا ، مقدرا إمكانية ذلك ، بسبب أوضاع عكا الداخلية ، فقد كان الفرنجة قد وصلوا في هذه الفترة الى درجة كبيرة من الضعف ونجم ذلك عن القتال بين البنادقة والجنويين فيها (٣٩) .

ووصلت الأخبار في عام ٦٦٢ هـ ـ ١٢٦٤ م عن تحرك مغولي ضد بلاد الشام لذلك أصدر السلطان بيبرس تعليماته باستنفار

القوات في الشام ، وشحن القلاع ورممها . وتحرك السلطان على رأس قواته من مصر فقصد غزة ومن هناك تحرك نحو منطقة يافا ، وبينما هو على الطريق وصلته الأخبار بهجوم المغول على المناطق الشمالية من الشام ، وصد ذلك الهجوم ، ولذلك بادر الى تغيير خطط زحفه واستغلال الموقف في البقاع التي كان فيها .

وبناء عليه « ثنى أعنته الى جهة الفرنج ليدينهم كما دانوا ويكون لهم كما كانوا ، وما أعلم أحد مغزاه ، ولا فهم أين مرامه ومرماه» ، وتظاهر بالانشغال بأعمال الصيد في غابة أرسوف ، فقام باستطلاع أرسوف وقيسارية ، وأمر باحضار الأخشاب واعداد المجانيق وأسلحة الحصار ، وأحضر الصناع والحجارين (سلاح المهندسين) ، وهاجم قيسارية ، و« نزل عليها يوم الخميس في التاسع من جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وستمائة (٢٨ شباط ١٢٦٥ م) ولوقته طاف بها . وهاجمها الناس . والقوا نفوسهم في خنادقها وعمدوا الى السكك الحديد التي للخيل والشبح والمقاود فتعلقوا فيها وطلعوا من كل جانب ، ونصبت عليها السناجق وحرقت أبوابها وهتك حجابها ، فهرب أهلها الى قلعتها .»

وشرعت القوات المملوكية بحصار قلعة قيسارية ، وكانت « من أحصن القلاع وأحسنها ، وتعرف بالخضراء ، وكان الريدافرانس (لويس التاسع) حمل اليها العمد الصوان واتقنها ، وما رؤي في الساحل أحسن منها عمارة ولا أمنع ولا أرفع لأن البحر المالح حاف بها ، وجائز في خنادقها ، والنقوب لا تعمل فيها للعمد الصوان الصلبة في بنائها » وشدد بيبرس الحصار عليها وضيق الخناق على المدافعين عنها ، وبعد مضي أسبوع هرب الفرنج بحرا الى يافا ، « واسلموا القلعة بما فيها ، وتسلق المسلمون اليها من الأسوار ، وحرقوا الأبواب ، ودخلوها من أعلاها وأسفلها » وأمر بيبرس على الفور بهدم قيسارية مع قلعتها « ووقف يهدم

بنفسه ، وراه الناس فتشبهوا بـه ، وعملوا بنفوسهم ، وصار يباشر ذلك بنفسه ويده »(٤٠) .

لقد برهن بيبرس في جميع معاركه على انه صاحب عبقرية عسكرية متميزة ، فعندما قرر مهاجمة قيسارية أرسل بعض وحدات جيشه نحو عكا للاغارة عليها ، والحيلولة بين اهلها وبين إنجاد قيسارية ، وجاء تحرير قيسارية بمثابة ضربة قاسية ضد الفرنجة ، حيث خسروا اهم نقاط الدفاع المتقدمة لديهم .

إن الهجوم على قيسارية يدل على وجود خطة محكمة للتحرير قد وضعها بيبرس . فقيسارية كانت أهم مواقع الصليبيين وأحصنها على الساحل فيما بين عكا وغزة ، وبعدما نجحت خطة الاستيلاء على قيسارية عمد بيبرس الى اجراء عسكري له شقان : الشق الأول تصفية الممتلكات الصليبية فيما بين قيسارية وغزة ، والشق الثاني التقدم في الوقت نفسه خطوة أخرى باتجاه عكا . فبينما كانت عمليات الهدم مستمرة في قيسارية أرسل بيبرس في ٢٦ جمادى الأولى ٦٦٣ هـ / ١٧ أذار ١٢٦٥ م مجموعة كبيرة من عساكره نحو حيفا « فساروا اليها ودخلوا قلعتها ، فنجا الفرنج بأنفسهم الى المراكب بعد ان قتل منهم وأسر ... واخربوا المدينة وقلعتها وأحرقوا ابوابها ، وجعلوها خاوية على عروشها ، كأن لم تغن بالأمس ، وكان أخذها وما اعتمد فيها من قتل وأسر وإخراب وإحراق في يوم واحد ».

وفي الوقت الذي تعرضت فيه حيفا للغارة المدمرة المحررة سار السلطان الظاهر بيبرس بنفسه على رأس قطعة كبيرة اخرى من جيشه الى عتليت . وبعدما استطلعها امر عساكره بالاغارة عليها « وأمر بتشعيثها وقطع أشجارها ، فقطعت جميعها وخربت ابنيتها » ثم عاد نحو قيسارية لمتابعة أعمال الهدم وإعداد خطة هجوم جديد .

وكان الهدف الآن هو بلدة أرسوف ، وبعدما أعد بيبرس الأسلحة الجماعية ومعدات الحصار ، ألقى الحصار على أرسوف وشدده وكانت أسوارها متينة وعالية ، وقامت قوات بيبرس بالتقدم نحو الأسوار في ظل ستائر من الأخشاب على شكل أبراج متحركة ، وحاولت هذه القوات حفر نفقين تحت الأسوار بغية شحنها بالأخشاب وإحراقها تحت طرف من أطراف الأسوار بغية هدمه ، وقام الفرنجة بخطط معاكسة وذلك بحفر انفاق مضادة ونشر الدخان فيها بشكل مفاجيء.

وبعد حصار دام أربعين يوما لم يتوقف القصف والرمي فيها أمكن فتح ثغرات واسعة في الأسوار ، وهكذا تمكن الجند من اقتحام المدينة والدخول الى حصنها . وهنا توقف المدافعون عن القتال والقوا أسلحتهم واستسلموا ، وحررت أرسوف وعادت الى أهلها يوم الخميس ١١ رجب ٦٦٣ هـ / ٢٦ نيسان ١٢٦٥ م . وأمر بيبرس بهدم أرسوف ثم وجه انذارا الى كونت يافا جاء فيه :

« إنا لا نحتمل الهضيمة ، وإذا أخذ أحد لنا مزرعة اخذنا عوضها قلعة مرتفعة ، وإذا هدموا جدارا هدمنا أسوارا ، والسيف في يد الضارب ، والجواد عنانه في قبضة الراكب ، ولنا يد تقطع الأعناق ، ويد تصل الأرزاق ، ومن تحرش فعن تجربة ، ومن اراد شيئا من الأشياء فهذه الأمور له مرتبة ».

لا شك أن إنجازات أعمال التحرير لهذا العام كانت جليلة ومحصلاتها عظيمة لا سيما في بناء قلعة قاقون . وقبل تعليل أسباب هدم الحصون المستولى عليها والباعث على بناء قاقون ، من الضروري الاشارة الى أن أعمال التحرير هذه لم يتوقف إنجازها على العسكريين المحترفين من جند بيبرس ، فلقد كان الحضور الشعبي كبيرا ، أثناء القتال وأعمال الحصار ، وشارك العرب الفلسطينيون مع إخوانهم من أهل الشام نساء ورجالا ، وكان لهم

دورهم المميز ، ويحدثنا ابن عبدالظاهر قاضي بيبرس ورئيس ديوان الانشاء لديه وكاتب سيرته وهو شاهد عيان بقوله :

« وحضر العباد والزهاد والفقهاء والفقراء الى هذه الغزاة المباركة التى ملأت الأرض بالعساكر وأصناف العالم ، ولم يتبعها خمر ولا شيء من الفواحش بل النساء الصالحات يسقين الماء في وسط القتال ، ويجرون في المجانيق ، وأطلق لجماعة من الصالحين الرواتب ، مثل الشيخ علي المجنون ، والشيخ إلياس ، ومن الأغنام والحوائج ، وأطلق للشيخ علي البكاء جملة من المال ، وما سمع ان أحدا من خواصه اشتغل عن الجهاد في نوبته بشغله ، ولا سير أمير غلمانه في نوبته واستراح هو ، إلا الناس سواء في هذه الأمور ».

وكان الشيخ علي المجنون أول الناس لدى اقتحام الأسوار ، فهو أول من شاهد انهيار أسوار باشورة أرسوف ، والحضور الشعبي له دلالات كبيرة . فالمعركة كانت لها صبغة « قومية ـ وطنية » ، إذا جاز لنا استعمال التعابير الحديثة ، ولم تكن صراعا بين حكام أو عسكريين ، بعضهم من الفرنجة وبعضهم الآخر من الترك . لقد اعتبر بيبرس أعماله جهاداً في سبيل الله ، واعتبر الشاميون الفلسطينيون عملهم جهاداً في سبيل الله والأرض ، ولهذا كان التعب يعتري جند المماليك لكنهم لم يعرفوا للتعب معنى ولم يتوقفوا الا بعدما القى العدو السلاح واستسلم(٤١)

ولجأ بيبرس الى هدم المدن والحصون الساحلية التي استولى عليها حتى لا يعود الفرنجة اليها فيرممونها ويتحصنوا بها من جديد ، ذلك أنه كان لهم تفوق بحري على المماليك وكانت تحت تصرفهم اساطيل الدويلات الايطالية مع اساطيل دول أوروبا المتوسطية (مثل فرنسا وصقلية وإسبانيا).

لقد قدر بيبرس ـ كما يبدو ـ أن الاستيلاء على عكا ليس بالأمر

السهل ويحتاج الى مجهود كبير ووقت طويل ، وأن هنالك مسائل ومخاطر ملحة أخرى في المناطق المحتلة من قبل الصليبيين خارج فلسطين ، فقد كانت هنالك طرابلس ، وقلعة حصن الأكراد وانطاكية ، لذلك تابع العمل على تجريد عكا من ممتلكاتها وأخذ يعد العدة لتحرير صفد ، واقدم أولا على اعادة تحصين قلعة قاقون.

كانت قاقون تعد من أعمال قيسارية ، وقد سكن قلعتها فرسان المعبد (الداوية) وقد ورد ذكرها في عمليات الحروب الصليبية . وهي وإن كانت قلعة داخلية لم تكن بعيدة عن الساحل ، لذلك توفرت فيها الشروط المطلوبة ، وأمر بيبرس بإعادة بناء قلعتها ، ورمم كنيستها وحولها الى جامع ، وأوقف عليها الأوقاف وشحنها بالمقاتلة وانتهت هذه الأعمال سنة ٦٦٥ هـ ـ ١٢٦٧ م ونمت قاقون خلال فترة وجيزة فصارت عامرة بالناس وغدت محطة للقوافل الذاهبة الى غزة والآيبة منها ومركزا من أهم مراكز البريد ، ذلك أن بيبرس اعتنى عناية فائقة بالبريد حتى كان الخبر يحتاج الى اربعة أيام للوصول من دمشق الى القاهرة (٤٢) .

وبعد انقضاء موسم أمطار عام ٦٦٤ هـ ـ ١٢٦٦ م جهز السلطان الظاهر بيبرس قواته وأخذ الطريق نحو غزة يريد بلاد الشام ، وفي غزة كلف بعض أمراء جيشه بقيادة وحداتهم والاغارة على ممتلكات الفرنجة في الساحل ما بين طرابلس وصور ، ومن غزة توجه بيبرس شخصيا نحو مدينة الخليل « فدخل الى مقام ابراهيم وزار وكشف المظالم » واتخذ عدة إجراءات لصيانة حرمة المكان ثم توجه نحو القدس فأتى « الحرم الشريف مستخفيا في نفرين أو ثلاثة ، وصلى الجمعة بالقدس ، ورحل الى عين جالوت نحو عكا وعسكر أمامها وأمر باجتماع قواته اليه ».

وعاد ثانية فضغط على عكا وأغارت قواته على المناطق المحيطة بها ، بغية إضعافها اقتصاديا وعسكريا ، وراسله مقدم الاسبتارية

من عكا من أجل الهدنة وفق الشروط التي يفرضها ، وعندما تهيأت الأجواء توجه بيبرس نحو صفد فهي قد كانت هدفه « لأنها الغصة في حلق الشام ، والشجا في صدر الاسلام »(٤٣) .

وقبل البحث في أحداث تحرير صفد نحتاج الى وقفة قصيرة بغية التعرف الى موقع هذه البلدة مع شيء من تاريخها الاسلامي :

تقع صفد في الجليل الأعلى ، وترتفع حوالي ٨٤٠ م عن سطح البحر وتبعد نحو ٢٠٦ كم عن القدس ، وهي ذات موقع استراتيجي هام « كانت أولا تلا ، وكان على التل قرية عامرة تحت برج اليتيم...لم تذكر في شيء من الكتب الموضوعة في التاريخ في صدر الاسلام » وقد سقطت بيد الصليبيين في الحملة الأولى فعمروا قلعتها سنة ٤٩٥ هـ / ١١٠٢ م وسكنها فيما بعد سنة ١١٦٧ م فرسان المعبد (الداوية) وحصنوها وظلت في أيدي الصليبيين حتى حررها« السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بعد حصار شديد» سنة ٥٨٤ هـ/ ١١٨٨ م وآلت منذ ذلك التاريخ الى السلطات الأيوبية في دمشق الى أن هدمها المسلمون سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٨ م « وبقيت خرابا ، وبلادها في يد من يملك دمشق لا يهتم ببنائها ملك الى أن أعطاها الملك الصالح عماد الدين اسماعيل بن الملك العادل للفرنج فيما أعطاهم من البلاد في سنة ثمان وخمسين وستمائة(١٢٦٠).

ثم آلت ملكيتها الى فرسان الداوية ، فقاموا بتجديدها وتوسيع رقعة حصنها حتى بات يتسع لحوالي ٢٢٠٠ من الفرسان والمقاتلة وقد « شحنوها بالمؤن والعتاد وجلبوا اليها الماء من العيون المجاورة » ، وعظم شأن صفد في هذه الآونة وتحولت الى بلدة كبيرة لها نشاطات وإمكانات تؤهلها لأن تصبح نواة نيابة في المستقبل(٤٤)

وكان الداوية أفراد إحدى أهم منظمات الصليبيين وإخوانياتهم

العسكرية،وكانوا يديرون في هذه الآونة أعمالا اقتصادية ونشاطات مالية واسعة . وعلى قاعدة من ملك المال ملك السلطة ، مارس الداوية نفوذا كبيرا على حكام الفرنجة في الشام ، كما أن تاريخهم مع الاسبتارية في المشرق ملطخ اكثر من سواهم بجميع انواع الوصمات من كذب وغدر ومذابح بلا رحمة . ولهذا عمد حكام المسلمين الى اعتبارهم « مجرمي حرب » لا يجوز الابقاء على اي منهم عندما يؤخذ أسيرا ، وهذا ماطبقه صلاح الدين إثر انتصاره في معركة حطين .

وقرر السلطان الظاهر بيبرس الاستيلاء على صفد فأعد لذلك ما لزم من معدات وبعدما وجه أقسى الضربات لكل من عكا والمناطق القائمة بين طرابلس وصور ، تحرك نحو صفد ، واستنفر قوات الشام ، ويبدو أن حجم الاستعدادات كان واسعا ، وكانت الخطة الموضوعة لمهاجمة صفد محكمة.

الموقع كان في غاية الحصانة والمدافعون عنه كانوا من اشرس المقاتلين الصليبيين واكثرهم تمرسا واشدهم صبرا ، وعمل بيبرس على عزل صفد ومنع وصول النجدات اليها ، حيث بعث قطعة من قواته لمشاغلة حصن الشقيف ورصد الطرق والممرات فقد حرص بيبرس على سلامة وصول المعدات والمجانيق والأخشاب من دمشق حرصه على منع النجدات عن صفد .

ويحدثنا ابن عبد الظاهر ان الجمال التي حملت المجانيق أصابها الوهن أثناء توجهها نحو صفد «فجهز(بيبرس) الأمراء والجند وسائر الناس لحملها على الرقاب من جسر يعقوب ، وهو مرحلة من صفد ، وخرج السلطان بنفسه وخواصه ، وجر أخشاب المجانيق مع البقر». وبدأ حصار صفد يوم ٨ رمضان ٦٦٤ هـ ـ ١٣ حزيران ١٢٦٦ م وأشرف بيبرس بنفسه على تجهيز المجانيق ووجه رماياتها . وشدد المسلمون

الحصار على صفد ، وعملوا في سبيل فتح ثغرة في الأسوار . وانقضى شهر رمضان والقتال مستعر ، وأصاب الهلع الفرنجة وسعوا إلى الاستسلام ، لكن بيبرس تشدد في شروطه وأصر على قتل فرسان الداوية .

كان بيبرس أثناء الحصار في ذروة اليقظة والنشاط وقد ضرب مثلا أعلى لجنده . كان يتفقد عساكره ويبذل لهم الأرزاق ، ويبني الخيام ، ويحضر الأطباء والجراحين ويطلق الأطعمة والأشربة للجند لاثارة حماستهم ولرفع معنوياتهم . وبعد انقضاء شهر رمضان بدأ السلطان بيبرس زحفا ضد صفد في اليوم الثاني لعيد الفطر(٢ شوال / ٦ تموز) ولم يثمر هذا الهجوم وأخفق في اختراق دفاعات صفد وبعد مضي أسبوع جدد بيبرس المحاولة ، ومن جديد أخفق . ثم حاول ثالثة يوم ١٤ - ١٧ ، وألح بيبرس وشدد الهجوم في اليوم التالي ، وسقطت باشورة القلعة واقتحمت عساكر

بيبرس القلعة ، وهنا أدرك الفرنجة أنه لا فائدة من متابعة المقاومة وعرضوا الاستسلام ، وأصدر بيبرس أوامره « بأن لا يرموا أحدا من الفرنج والنصارى والمستعربة غير الداوية ، فأمسك الفرنج من تلك الساعة عن القتال » . وتابع الداوية المقاومة عدة أيام ثم طلبوا الأمان مجددا فمنحهم ما طلبوا بعد أن « اشترط عليهم أن لا يستصحبوا سلاحا ولا لأمة حرب ولا شيئا من الفضيات ولا يؤذوا شيئا من ذخائر القلعة بنار ولا هدم».

وتوقف القتال وخرج المدافعون عن صفد ودخلت عساكر بيبرس إليها »، وبعدما تفقدوها وجدوها بدون أموال وذخائر وأسلحة فردية . وأمر بيبرس بتفتيش الفرنجة فوجد أنهم « أخرجوا معهم الأسلحة والفضيات وأخفوها في قماشهم . وتحدثوا على جماعة من أسرى المسلمين أخذوهم على أنهم نصارى ، كذلك صغار المسلمين

المأسورين عندهم »(٤٥).واعتبر السلطان ما اقترفه الفرنجة نقضا لشروط الاستسلام يسوغ له الأمر بإعدامهم .

وكان بيبرس ينتظر مثل هذا السوغ ، فأصدر أوامره بقتل الفرنجة جميعا فيما عدا اثنين منهم ، أولهما أعلن عن اسلامه ، وثانيهما أطلق سراحه ليخبر بني جلدته بما وقع في صفد.

ويبدو أن الذين أعدموا كانوا من الداوية فقط ، ذلك أنه بعدما سقطت باشورة القلعة أفسح المسلمون السبل أمام الفرنجة العاديين وسواهم للهرب ، إن لم نقل شجعوهم على ذلك . أضف إلى هذا أن الاسلام عرض على الذين نقضوا الاتفاق ، وواحد فقط هو الذي تحول إلى الاسلام ، ورفض البقية ، مما يدلل على أنهم كانوا من الداوية الذين شهروا بشدة التعصب.

وكما حدث في المعارك السالفة كان الحضور الشعبي كبيرا أيضا أثناء حصار صفد ، وقد قتل عدد من المتطوعة ، وهذا يؤكد من جديد أن عمليات التحرير أسهمت الأمة فيها لا عن طريق تحمل نفقات جند المماليك وإعداد الأسلحة وتأمين المؤن ورجالات الادارة فحسب ، بل عن طريق المقاتلين أيضا . وعلى هذا تحمل شعب فلسطين وأهل الشام القسط الأكبر من أعباء تحرير الأرض ، وذلك بعدما كانوا قد تمسكوا بالأرض وتحملوا مشاق الاحتلال.

وعين بيبرس واليا لصفد « وأمر بعمارتها والزيادة فيها ، وحمل إليها الذخائر والسلاح، وولى قلعتها واحدا من قادة جيشه وشحنها بعدد من الجند ثم ارتحل مسرعا نحو دمشق (٤٦) لتجريد القوات ضد مملكة أرمينيا الصغرى.

وكان لتحرير صفد أصداء واسعة ،حيث سارع ممثلوا بقية الفرنجة نحو بيبرس يعلنون خضوعهم له ، كما سقطت قلعتا هونين وتبنين ، وقرر بيبرس إعادة ترميم قلعة صفد بعد ما لحقها من تهديم كبير

وذهب بيبرس إلى القاهرة حيث مكث هنالك وقتا قصيرا ثم توجه مجددا سنة ٦٦٥ هـ ـ ١٢٦٧ م نحو بلاد الشام .

وعند وصوله الى غزة وصل اليه رسل الفرنج يحملون الهدايا مع بعض أسرى المسلمين ويطلبون تأكيد اتفاقيات الهدنة . وتوجه بيبرس نحو صفد وهو على نية إعادة بنائها ، لكنه ما أن وصلها حتى أتته الأخبار بتوجه حملة مغولية نحو الشام ، فترك صفد وذهب إلى دمشق ، وفي دمشق عرف بعودة المغول فعاد هو أدراجه نحو صفد ، وعلى الفور أمر باعادة حفر خندق القلعة فقسمه « على الأمراء ، وأخذ نصيبا وافرا لنفسه ومماليكه وحاشيته ، وشرع الناس في العمل ، وعمل السلطان بنفسه وبيده ، وكذلك جميع بيوتاته من بابية وغيرهم ، ولم يتوفر أحد من العمل ، ولازموا نقل الحجارة ورمي التراب ، وتسابق الناس في النجاز».

لقد تميز بيبرس بقدرات على المناورة السياسية ساوت قدراته العسكرية ونشاطه في الميادين ، فقد وصل إليه وهو على صفد رسل الفرنج « وشاهدوا من أمرها واهتمام السلطان بها ما قطع أكبادهم حسرات ، وتحدثوا مع السلطان في أمر بلادهم ». وبعدما وجه

بيبرس النقد إلى سفراء الفرنجة طالبهم بشروط ومطالب قاسية ، وأبدى عدم اهتمامه لهم ، وأرسل أثناء المفاوضات ، وحدات من جيشه أغارت عدة مرات على عكا ، وتوجه هو نفسه نحو عكا ، وخيم بتل الفضول على مقربة منها ، وبات ليلته هناك ثم أعمل الغارة ضدها في اليوم التالي فقتل وأسر ودمر . ثم عاد نحو صفد ، واستدعى إليه رسل الفرنج فعرض عليهم ما حمله أثناء غارته للضغط عليهم ويبدو أن ذلك لم يؤثر عليهم لذلك أمر بردهم بدون جواب(٤٧).

وقام بيبرس إثر هذا بالاغارة على عكا ، فحاصرها عدة أيام ، لكنه عندما شعر بتعذر الاستيلاء عليها انسحب نحو صفد فأشرف على إكمال ترميمها « فعمر الباشورة وبنى فيها أبرجة وأسواقا وخانات ، وحمامات ، فصارت بما أحدثه فيها من أحصن القلاع وامنعها، وأطيب البقاع وأخصبها ».

وكتب بيبرس على قلعة صفد بعدما جددها:

(ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون)(الأنبياء: ١٠٥) .(أولئك حزب الله الا إن حزب الله هم المفلحون)(المجادلة: ٢٢) . أمر بتجديد هذه القلعة وتحصينها وتكملة عمارتها وتحسينها ، من خلصها من أسر الفرنج الملاعين وردها إلى يد المسلمين ، ونقلها من حوزة الديوية إلى حوزة المؤمنين ، وأعادها الى الايمان كما بدا بها أول مرة ، وجعلها للكفار خسارة وحسرة ، واجتهد وجاهد حتى بدل الكفر بالايمان والناقوس بالأذان والانجيل بالقرآن ، ووقف بنفسه حتى حمل تراب خنادقها وحجارتها منه بنفسه وبخواصه على الرؤوس . السلطان الملك الظاهر أبو الفتح بيبرس ، فمن صارت إليه هذه القلعة من ملوك الاسلام ، ومن سكنها من المجاهدين ، فليجعل له نصيبا من اجره ، ولا يخله من الترحم في سره وجهره ، فقد صار يقال عمر الله

صرحها ، بعدما كان يقال عجل الله فتحها ، والعـاقبة للمتقين إلى يوم الدين ».

وعندما كان السلطان الظاهر بيبرس مقيما في صـفد يعمـل على إعادة بنائها وصله رسول من عند صاحب يافا يطلب تجديد الهـدنة فرفض ، وفي جمادى الآخـرة لعـام ٦٦٦ هـ ـ شـباط / ١٢٦٨ م وصلت بيبرس الأخبار بعزم المغـول الاغارة على حلب ، فـاستنفر قواته وقادها نحو غزة ،وفي الوقت نفسه أمر باستنفار قوات دمشق وسواها وانتظار أوامر جـديدة ، وتحـرك جيش السـلطان نحـو دمشق ، وعندما وصل إلى العوجا رفعت تقارير إلى السلطان بـأن اهل يافـا» يحملون الميرة إلى عكا ، وكانت الميرة ممنوعة عن أهـل عكا ، واقاموا في يافا حانة ، واوقفوا فيهـا عدة مـن المسـلمات ، واعتمدوا اسبابا ليست في هدنة» ، وقـرر بيبـرس مهـاجمة يافـا وتحريرها ، وقبل أن يحرك قواته بعث إليها وفـدا يطلب تسـليمها إليه ، ثم ما لبث أن قاد قواته وهاجمها على حين غرة ، فتمكن منها ثم زحف ضد قلعتهـا «فسـلمها أهلهـا » في يوم ٢٠ جمـادى الآخرة /٧/آذار ١٢٦٨ م ، وقام بيبرس باجلاء سـكانها ثـم أمـر بهدمها ، واكتفـى بإقـامة بعض المحـارس ونقـاط الانذار على الساحل» (٤٨)

كان تحرير يافا آخر إنجـازات بيبـرس وفتـوحاته الكبـرى في فلسطين ، لكنه لم يكن بطبيعة الحال آخر أعماله ضد الصـليبيين في بلاد الشام ، ولا حتى آخر نشـاطاته في فلسـطين نفسـها ، وقـام بيبرس بعد تحريره ليافا بانتزاع حصـن الشـقيف مـن فـرسان الداوية ، كما حرر أجزاء هامة من سواحل الشام ، وأمكنه تحـرير مدينة انطاكية ، وبذلك أزال مـن الوجـود ثـاني دول الصـليبيين تأسيسا في الشرق كما حرر قلعة حصن الأكراد في منطقة حمص.

وجاء تحرير انطاكية سنة ٦٦٦ هـ ـ ١٢٦٨ م ، فبعدما هـاجم بيبرس طرابلس ثم قلعة الحصن سار إلى حماه وهناك قسم قـواته إلى ثلاثة اقسام أرسـل الأول منهـا نحـو مملكة كليكيا الأرمنية ،

وأرسل القسم الثاني نحو شاطىء البحر المتوسط قرب السويدية ، وقاد بنفسه القسم الثالث نحو انطاكية ، حيث شدد عليها الحصار بعدما عزلها من جميع الجهات ، وعجز الفرنجة عن الدفاع عن انطاكية ، وبعد حرب ضروس تمكنت قوات بيبرس من تسلق أسوار المدينة وفتحها ، وإثر هذا استسلمت قلعة انطاكية ، وتبع تحرير انطاكية تحرير ما حولها ، وطلب هيثوم ملك أرمينيا الصغرى المهادنة على أساس دفع الجزية ، وبتحرير انطاكية يكون الشام الشمالي قد تحرر تماما ، وبات على المسلمين تصفية الجيوب الداخلية وتحرير طرابلس و عكا ، وبالفعل تمكن بيبرس بعد وقت قصير من تحرير قلعة الحصن وأخذ يعد العدة لتحرير عكا وطرابلس (٤٩) .

وأولى بيبرس عكا كل اهتمامه فلم يتوقف عن الاغارة عليها ، مع تعريضها للضغط السياسي والاقتصادي . ولعل ما استجد من تحركات مغولية ضد بلاد الشام قد حال دون تركيز طاقات الدولة العسكرية ضد عكا ، اضف إلى ذلك أن المساعدات تدفقت على عكا من قبرص ومن أوروبا التي عاد اليها القديس لويس ونشط فيها في سبيل حملة صليبية جديدة.

وزاد الصليبيون من تحصين عكا لأن سقوطها كان يعني نهاية وجودهم في المشرق وتقدمت الاشارة الى قيام الاتصالات بين المغول وحكام اوروبا وتبادل الرسل والتباحث في سبيل عمل مشترك ضد بلاد الشام(٥٠) .

وكان السلطان بيبرس قد توجه عام ٦٦٧ هـ/ ١٢٦٨ م سرا نحو مكة فقضى فريضة الحج ، ثم عاد الى بلاد الشام فتفقدها جميعا ثم توجه إلى مصر ، وما كاد يستقر في القاهرة حتى جاءته الأخبار مع حلول عام ٦٦٨ هـ / خريف ١٢٦٩ م بتحرك المغول «وانهم تواعدوا مع الفرنج الساحلية ، الذين شعروا بالقوة إثر وصول بعض النجدات الأوروبية إليهم . واستشار بيبرس أركان دولته

فأشاروا عليه بتجريد الجيوش نحو الشام والبقاء شخصيا في القاهرة ، لكنه رفض هذا الراي مقدرا أن وجوده ضروري لأن « اسمه يرد الأعداء المتوثبة من كل جانب ، ويصيبهم بسهام المصائب »٠

وسير بيبرس قواته نحو بلاد الشام ، وتحرك هو على راس قطعة صغيرة من فرسانه ، وكان فرنجة عكا قد وصلتهم نجدات أوربية اشعرتهم بالقوة ، فراسلوا مجددا ابغا بن هولاكو وخرج فرنج الغرب وأهل عكا ، وخيموا بظاهر عكا ، وصاروا يركبون وتعجبهم نفوسهم ، وبلغتهم قلة من وصل مع السلطان الى الشام فتوهموا أنه لايقصدهم ، وبلغ بيبرس هذا التحرك فراسل قواته في دمشق وصفد وأمر قوات صفد بالاغارة على عكا واستدراج قواتها الى كمين أعده وقاده شخصيا ، ونفذت الخطة بإحكام وانزل بيبرس ضربة شديدة بالصليبيين ، ومن ثم توجه نحو صفد ومنها الى دمشق(٥١) .

وكان القديس لويس قد اقلع في سنة ٦٦٩ هـ ـ ١٢٧١ م بحملة صليبية جديدة قادها ضد تونس ، وأخفقت هذه الحملة ولاقى الملك الفرنسي مصرعه ، والذي يهمنا ذكره هنا أن بعض الفرنجة وصلوا بسبب هذه الحملة الى عكا ، وهو ما جعل قواتها تغير مواقفها وتجدد نشاطاتها العدوانية ضد المسلمين ولاسيما ضد صفد ، وكان الظاهر بيبرس مشغولا في المناطق الوسطى والشمالية من الشام ، وعندما فرغ من أعماله هناك توجه نحو فلسطين وقصد هذه المرة قلعة القرين التي كانت تقع في تلال الجليل الغربية الى الشمال الشرقي من عكا وعلى مسافة ثلاثين كم منها ،« وكان حصن القرين هذا لاستبتار الألمان ولم يكن لهم بالساحل غيره ، وكان من امنع الحصون واضرها بصفد ، وكان السلطان نوبة فتوح صفد أغار عليه ، بل غار عليه أن يكون مثله للكفر ... فسار الى صفد ، وجهز منها المنجنيقات وساقها الى القرين ونازله » وشدد عليه الحصار وبعد قتال دام

عشرة أيام عرض المدافعون الاستسلام فتم الاتفاق معهم ، وتسلم بيبرس الحصن وأمر بتدميره(٥٢).

وبعد سقوط القرين عقد بيبرس مفاوضات مع جون مونتفرات صاحب صور انتهت الى عقد هدنة فرض بيبرس شروطها واضطر الى قبولها للتفرغ لعكا وللفرنجة الذين وصلوا اليها في اواخر عام ٦٦٩ هـ ـ ١٢٧١ م ، فقد اغار هؤلاء على بعض اراضي صفد ونهبوها(٥٣) ذلك أن بيبرس كان قد قصد القاهرة بعد تحريره للقرين .

وازداد في عام ٦٧٠ هـ ـ ١٢٧٢ م نشاط فرنجة عكا ضد ممتلكات صفد كما عظم نشاط المغول في المناطق الشمالية من بلاد الشام وتم ذلك بتنسيق بين الطرفين . وتحرك بيبرس باتجاه حلب ، واستطاعت قوات قاقون رد الفرنجة ودفعتهم عنها ، وبعدما عاد بيبرس الى دمشق ، خرج منها :

« واستصحب العساكر المصرية والشامية بغية الغارة على عكا ، فتوالت أمطار كثيرة ... وكاد الناس يهلكون لعدم مايستظلون به ، فانثنى عزمه عن الاغارة ، ورد العسكر الشامي ، وسار الى الديار المصرية »(٥٤) .

وفي القاهرة استقبل بيبرس رسل فرنجة عكا وتفاوض معهم وتم التوصل الى عقد هدنة مدتها عشر سنوات وعشرة أشهر تبدأ من ٢١ رمضان ٦٧٠ هـ ـ ٢٢ أذار ١٢٧٢ م ، وحلف كل طرف متعهدا بالالتزام والوفاء(٥٥) .

ويبدو أن بيبرس قبل بعقد هذه الهدنة لادراكه أن عكا لايمكن الاستيلاء عليها والدولة مهددة من المغول والمواصلات مفتوحة بدون توقف بين عكا وقبرص واوروبا . وهو لايملك قوة بحرية يمكنها مساعدة القوات البرية في حصار عكا . ويبدو أن فرنجة عكا رضوا بعقد الهدنة لشراء سلامتهم سيما وقد برهن تحالفهم مع المغول على عدم جدواه .

بهذا الاتفاق ختم الظاهر بيبرس نشاطه العسكري ضد الفرنجة في فلسطين . ولاشك ان ماانجزه كان عظيما ، وليس من المغالاة القول إن بيبرس استأنف مسيرة صلاح الدين ، وإن أعماله كانت متممة لما شرع به صلاح الدين بعد حطين وتوقف بسبب الحملة الصليبية الثالثة ووفاته المبكرة ، ويأتي الظاهر بيبرس بما حققه من نجاحات عظمى في المرتبة نفسها التي احتلها : عماد الدين زنكي ، ونور الدين محمود ، وصلاح الدين الأيوبي ، ذلك أن زنكي قاد أعمال التحرير الأولى في مرحلة الموصل ، ونور الدين محمود قاد أعمال التحرير والوحدة في مرحلة حلب ، وصلاح الدين قاد مرحلة دمشق وحقق النصر في حطين ، وبيبرس الآن قاد مرحلة القاهرة وأعمال تصفية الوجود الصليبي في فلسطين والشام.

وتوفي بيبرس سنة ٦٧٦ هـ - ١٢٧٧ م وهو في ذروة نشاطه ، ولعله سقي السم . وقد دفن في دمشق ليس بعيدا عن قبر صلاح الدين ، ذلك أن أبطال المراحل الأربع قد دفنوا في أرض الشام وحظي بيبرس بمكانة لدى أهل الشام ومصر لم يحظ بها سواه من سلاطين المماليك ، الى حد أن أخباره تحولت الى ملاحم شعبية امتزجت فيها حقائق التاريخ بالخيال القصصي الملحمي ، فهنالك أكثر من ملحمة متداولة تحت اسم السيرة الظاهرية أو سيرة الملك الظاهر ، وتصور هذه الملاحم مشاعر شعب تعلق دوما بالأرض في عصر شهد أعظم الأعمال في سبيل التحرير ولاعجب في ذلك ، صحيح ان بيبرس قاد رسميا قوات المماليك المحترفة لكن حجم المتطوعة في حملاته لم يكن أقل عددا ولادورا من المماليك مع الأخذ بعين الاعتبار ان الشعب العربي في الشام ومصر هو الذي تحمل أوزار الحرب ونفقاتها وصنع السلاح والعتاد وبنى القلاع وقدم الاداريين وسواهم .

وكان بيبرس قد خطط قبل وفاته الى انتقال الملك من بعده الى ابنه الملك السعيد بركة ، وهذا ماحدث ، فما ان وصلت الأخبار الى القاهرة حتى جرت بيعة بركة بالسلطنة ، وكان شابا في مقتبل العمر

تنقصه الخبرة والتجربة ، لهذا واجه المشاكل وعاش وسط الصراعات ، ووجد نفسه بعد بضعة أشهر من تسلمه السلطنة مضطرا الى التنازل عنها لصالح اخيه سلامش وكان طفلا ابن سبع سنوات فقط .

ورست مقاليد السلطنة الآن فعليا بيدي الأمير قلاوون الالفي ، واستغل قلاوون فرصته أحسن استغلال ، فزج بمعارضيه في السجن وتخلص من مناوئية ، ثم عزل السلطان الطفل وتسلم السلطنة بلقب المنصور .

وهكذا زالت أسرة الظاهر بيبرس ، وحل محلها أسرة قلاوون التي حكمت دولة المماليك لمدة تقارب القرن من الزمن . ووجد قلاوون بعض المصاعب وواجه أعمال المعارضة فتغلب عليها ، ولكن بعدما استغرقت معظم أوقاته ، وكان لذلك الوضع أثاره على العلاقات مع الصليبيين في عكا وبقية أجزاء بلاد الشام .

وتوجه السلطان قلاوون سنة ٦٧٩ هـ - ١٢٨٠ م نحو بلاد الشام ، وركب الطريق الساحلية ، وعسكر اثناء سفره في الروحاء على الساحل على مقربة من عكا ، وهناك وصلت اليه رسل الاسبتارية « يسألون تقرير الهدنة والزيادة على الهدنة الظاهرية » وأجابهم قلاوون الى مطلبهم وعقدت هدنة مجددة بين قلاوون وابنه وولي عهده علي من جهة وبين نقولاس لورجن مقدم بيت الاسبتار وجميع الاخوة الاسبتارية بعكا « لمدة عشر سنين كوامل متتابعات وعشرة اشهر وعشرة أيام وعشر ساعات ، أول ذلك يوم السبت ثاني عشر المحرم » سنة ٦٨٠ هـ - ٣ أيار ١٢٨١ م (٥٦) .

وبعد مضي قرابة الشهرين من توقيع الهدنة ، تم التوصل الى هدنة ثانية بين قلاوون من جهة وبوهموند صاحب طرابلس من جهة مقابلة لمدة عشر سنوات ايضا مع عشرة اشهر وعشرة أيام وعشر

ساعات اعتبارا من يوم ٢٧ ربيع الأول ٦٨٠ هـ - ٥ تموز ١٢٨١ م .

واستمرت حالة الهدنة مع طرابلس حتى سنة ٦٨٧ هـ - ١٢٨٨ م ففي نهاية هذه السنة نقض فرنجة طرابلس شروط الهدنة حيث أقدموا على نهب مجموعة من التجار المسلمين وأسروا عددا منهم ، وحين وقع هذا كانت أوضاع السلطنة مستقرة وجيوشها جاهزة ، لذلك ما أن بلغ السلطان خبر ما حدث حتى زحف نحو طرابلس على رأس قوات الشام ومصر ، ونزل عليها وحاصرها حصارا شديدا حتى أخذها عنوة في ٤ ربيع الآخر ٦٨٨ هـ - ٢٤ نيسان ١٢٨٩ م .

وبتحرير طرابلس زالت فعليا المملكة الرابعة التي اسسها الفرنجة في المشرق ، وبهذا أكمل قلاوون ماقام به رفيقه بالسلاح من قبله السلطان بيبرس ، ولم يبق الآن للصليبيين سوى عكا ، وكان لابد من انتظار الفرصة المناسبة للزحف ضدها وتحريرها(٥٧) .

هذا ويلاحظ أن الهدنة - التي ذكرناها أعلاه - التي عقدت مع اسبتارية عكا ، شملت أفراد هذه المنظمة فقط ولم تشمل بقية قوى الصليبيين ومؤسساتهم في عكا ، وبناء عليه جرت مفاوضات بين السلطنة المملوكية وبين الداوية انتهت بعقد اتفاقية هدنة مماثلة بين « السلطان الملك المنصور وولده الملك الصالح علاء الدنيا والدين علي وبين المقدم افرير كويوم ديباجوك مقدم بيت الداوية بعكا والساحل وبين جميع الأخوة الداوية .... لمدة عشر سنين كوامل متواليات ومتتابعات وعشرة شهور ، أول ذلك يوم الأربعاء خامس المحرم سنة احدى وثمانين وستمائة للهجرة النبوية المحمدية » ١٥ نيسان ١٢٨٢ م(٥٨).

لقد كانت قوى اوروبا ممثلة في عكا ، وبعدما عقد الداوية والاسبتارية الهدنة مع السلطنة بات من الضروري عقد هدنة جماعية

باسم عكا بما في ذلك المنظمات التي كانت فيها ، وبالفعل توجه وفد الى القاهرة مثل قوى عكا الصليبية ومنها الداوية والاسبتارية ، وبعد مفاوضات تم التوصل الى عقد هدنة بين « السلطان الملك المنصور وولده السلطان الملك الصالح علاء الدنيا والدين علي ... وبين الحكام بمملكة عكا وصيدا وعتليت وبلادها » وأبرم الاتفاق في ٥ ربيع الأول ٦٨٢ هـ ـ ٣ حزيران ١٢٨٣م ، وكانت أهم بنوده :

١ـ مدة الهدنة عشر سنوات وعشرة أشهر وعشرة أيام .
٢ـ منح التجار من رعايا السلطان الأمن وحرية العمل التجاري في عكا والبلاد الساحلية .
٣ـ توقف الفرنجة عن الاعتداء على أراضي دولة السلطان .
٤ـ لايجدد الفرنجة في عكا وعتليت وصيدا حصنا ولاسورا .
٥ـ تبادل الرعايا الفارين ضمن شروط محددة .
٦ـ حرية الملاحة وتقديم العون للسفن الجانحة والمحافظة على محتويات السفن لتسليمها الى أصحابها أو من يلوذ بهم .
٧ـ يتولى فرنجة عكا إنذار السلطان وإعلامه بأي تحرك أوروبي مضاد له وكذلك بالنسبة لتحركات المغول .
٨ـ يضمن السلطان حماية عكا وعتليت من أعمال القرصنة .
٩ـ السماح للحجاج الأوروبيين بالوصول الى الأماكن المقدسة وضمان أمنهم وسلامتهم وحرية تعبدهم (٥٩) .

ويبدو أن اوضاع السلطنة الداخلية وتعاظم الخطر المغولي واشتداده هي التي أجبرت السلطان قلاوون على توقيع هذه المعاهدة وغيرها ، فقد أغار المغول على الشام ووصلت قواتهم قرب حمص سنة ٦٨٠ هـ ـ ١٢٨١ م(٦٠).

كما أن قلاوون قد واجه في تلك الأونة حركة تمرد خطيرة ضده في دمشق قادها سنقر الأشقر واستمرت أعمال التآمر ضده دونما توقف (٦١).

لقد غدت عكا تحت رحمة السلطان قلاوون ، كما أنه كان لسقوط طرابلس أصداء واسعة في أوروبا ، وسعت البابوية الى إثارة حملة صليبية جديدة ، لكن جهودها لم تثمر الا قليلا .

وكانت عكا قد استولى عليها سنة ٦٨٥ هـ - ١٢٨٦ م هنري الثاني ملك قبرص(٦٢)وتوج بها ملكا ، وتجددت الاتصالات المغولية الصليبية ، وبذلت الجهود للقيام بعمل صليبي مغولي مشترك (٦٣) وأثمرت هذه الجهود كلها باستجابة بعض « رعاع الفلاحين والمتعطلين من سكان المدن الصغيرة » في شمالي ايطاليا ، وقدم هؤلاء الى عكا تحت قيادة أسقف طرابلس سابقا .

وكان الملك هنري الثاني جدد الهدنة مع السلطان قلاوون وبعث هذا كله بعض الأمل في عكا ، لكنه لم يتعد الشكل السرابي ، وكان سقوط طرابلس وقدوم النجدات من أوروبا واستمرار النجدات من قبرص قد زاد من حجم سكان مدينة عكا ، وبالتالي رفع من قدرتها العسكرية .

« واجتمع داخل اسوار عكا طوائف تمثل مختلف الأمم المسيحية ، وعاشت كل طائفة منعزلة عن الأخرى في حي خاص بها ، وأخذ كل واحد من قادة المناطق في الشام ومقدمي الاخوانيات العسكرية الكبرى وممثلي ملوك فرنسا وانكلترا والقدس ، يمارس سلطات مستقلة ، وعلى هذا كان في عكا سبع عشرة سلطة مستقلة ، الأمر الذي نجم عنه فوضى كبيرة » .

ولذلك لاغرابة أن المدينة غدت بؤرة فساد وشرور وانحطاط خلقي واضطراب مستمر ، ورخاء مادي كبير وأرباح تجارية خيالية ، فمقر الداوية لم يعد ديرا للفرسان ولتقديم الخدمات بل مستودعا للأموال والذخائر وبنكا للاقراض بنسب فائدة عالية جدا .

وقام القادمون الجدد من الايطاليين بإثارة المزيد من الفوضى والاخلال بالأمن وأخذوا يسلبون وينهبون التجار والباعة من المسلمين ، وكان هنالك صراع مرير بين البيوتات التجارية التابعة لجنوا والبندقية وسواهما .

وفي صيف سنة ٦٨٩ هـ - ١٢٩٠ م انفجرت أعمال العنف في عكا ، ووجهت هذه الأعمال ضد المسلمين داخل المدينة وخارجها ، وقد ذبح الصليبيون كل مسلم صادفوه ونهبوا ماكان معه من مال وبضائع(٦٤) .

ووصلت أخبار المذبحة هذه الى السلطان قلاوون فاشتعل غضبا ، واعتبر ان فرنجة عكا قد خرقوا اتفاق الهدنة ، وأنه يملك جميع المسوغات لاعتبار الهدنة ملغاة ، وسارع قلاوون فأرسل تجريدة من قواته نحو منطقة عكا لاستطلاع خبر ماحدث ، ولتثبيت الوجود المملوكي في المنطقة ، وفي الوقت نفسه أصدر أوامره بحشد جميع القوات في الشام ومصر ، وجرى فرض الضرائب على قرى غوطة دمشق وبعلبك في سبيل تحصيل الكميات اللازمة من الأخشاب لصنع المجانيق والأبراج المتحركة وغيرها من أدوات الحصار .

وتناوشت تجريدة قلاوون مع قوات عكا ، وسارعت سلطات عكا الى مراسلة السلطان وتقديم الاعتذار له ، ثم أعقب ذلك وصول رسله الى عكا حيث طالبوا بإصرار على تسليمهم الذين تولوا أعمال القتل والمذابح ، وبعد طول مناقشات لم يستجب لمطلب السلطان فحسب ، بل حاول المسؤولون في عكا اقناع رسله بأن بعض تجار المسلمين هم الذين فجروا الفتنة .

وملك قلاوون الآن جميع المسوغات للاحتكام الى السلاح ، وهكذا زحف على رأس قواته يريد عكا وصدرت الأوامر الى قوات الشام للاجتماع مع قوات السلطان قرب قيسارية .

وكان قلاوون قبل مغادرته القاهرة مريضا ، لكن مرضه لم يثنه

عن مقصده غير انه ماأن غادر القاهرة حتى اشتد به المرض فتوفي ، وكان ذلك يوم ٦ ذي القعدة ٦٨٩ هـ - ١٠ تشرين الثاني ١٢٩٠ م(٦٥) .

وتنفس اهل عكا الصعداء وخيل اليهم انهم نجوا وكتبت سلامتهم ، لكن لبعض الوقت ، فعلي بن قلاوون ، وولي عهده ، كان قد توفي من قبل ، وعزم قلاوون على تسمية ابنه خليل وليا لعهده لكنه تراجع ، وتوهم الصليبيون أن صراعا سينشب على السلطة كما جرت العادة ، وبالفعل جرى شئ من هذا القبيل ، لكن خليل بن قلاوون برهن على قدرات واسعة وطاقات كبيرة ، واستطاع الأشرف خليل السيطرة على الأوضاع وتثبيت قدميه بالسلطة ، والتفت على الفور نحو عكا عازما على متابعة ماشرع به والده قبله .

وأرسلت سلطات عكا رسلا الى الأشرف خليل لتهنئته بإرتقائه عرش السلطنة ، وللاعتذار له عما حدث في عكا مع طلب تجديد الهدنة ، لكن الأشرف لم يستمع لما جاء به الرسل والقى بهم في السجن فكان آخر العهد بهم ، وعبر بذلك عن تصميمه على قصد عكا بجيوشه .

لقد حشد الأشرف قواتا عملاقة ، واعد الأسلحة والمعدات ولاسيما المجانيق ، وابراج الحصار ، وتحركت القوات نحو عكا في ربيع الأول ٦٩٠ هـ - آذار ١٢٩١ م ، وكان المؤرخ المشهور ابو الفداء بين أفراد القوات التي تحركت من حماة نحو عكا ، ويحدثنا عن زحف القوات وعما عانته أثناء ذلك بقوله :

« وتسلمنا منه (حصن الأكراد) منجنيقا عظيما يسمى المنصوري حمل مئة عجلة ، ففرقت في العسكر الحموي ، وكان المسلم منه الي عجلة واحدة لأني كنت اذ ذاك امير عشرة ، وكان مسيرنا بالعجل في أواخر فصل الشتاء ، فاتفق وقوع الأمطار والثلوج علينا بين حصن الأكراد ودمشق ، فقاسينا من ذلك بسبب

جر العجل وضعف البقر وموتها بسبب البرد شدة عظيمة ، وسرنا بسبب العجل من حصن الأكراد الى عكا شهرا وذلك مسير نحو ثمانية أيام للخيل على العادة ، وكذلك أمر السلطان الملك الأشرف بجر المجانيق الكبار والصغار مالم يجتمع على غيرها » .

وكان تعداد القوات التي تجمعت أمام عكا كبيرا « معها اثنان وتسعون منجنيقا » من مختلف الأنواع والأحجام ، وبعدما اكتمل تجمع القوات وتجهيز المعدات صدر صباح الجمعة ١٧ جمادي الأولى ٦٩٠ هـ ـ ١٨ أيار ١٢٩١ م الأمر بالهجوم بوساطة قرع كمية هائلة من الطبول وأدوات موسيقى الحرب رتبت على ظهور ثلاثمائة جمل . وفي داخل عكا كان الصليبيون قد اعدوا العدة للدفاع ، ولنتذكر هنا ان المدينة حوصرت من جانب البر فقط وبقيت غير مهددة من الجانبين البحريين وكانت النجدات والمؤن والمعدات تصلها بلا انقطاع من قبرص وسواها ، ولهذا « لم يغلق الفرنج غالب أبوابها(عكا)بل كانت مفتحة وهم يقاتلون فيها » .

واشتد الحصار ونشط المسلمون في قصف أسوار المدينة وفي فتح الثغرات فيها ونقب الأبراج ، وقاوم الفرنجة ، وقام فرسانهم بأكثر من هجوم ليلي على معسكر المسلمين ، ويحدثنا ابو الفداء عن المقاومة بقوله :

« فكنا على جانب البحر ، والبحر عن يميننا اذا واجهنا عكا ، وكان يحضر الينا مراكب مقببة بالخشب الملبس جلود الجواميس ، وكانوا يرموننا بالنشاب والجروخ ، وكان القتال من قدامنا من جهة المدينة ومن جهة يميننا من البحر واحضروا بطسة (مركبا) فيها منجنيق يرمي علينا وعلى خيمنا من جهة البحر ، فكنا منه في شدة » .

ونجح المسلمون بعد حصار استمر قرابة الشهر ونصف الشهر في خرق الأسوار ودكها وشقوا طريقهم إلى داخل المدينة :
« ولما هجمها المسلمون هرب جماعة من أهلها في المراكب ، وكان

في داخل البلد عدة ابرجة عاصية بمنزلة قلاع دخلهـاعالم عظيم مـن الفرنج وتحصنوا بها » .

ودار قتال عنيف داخل طرقات عكا ، وتسابق الفرنجة نحو ميناء المدينة وتـزاحموا على الأرصـفة ، ويبـدو أن عدد المراكب لم يكن كافيا ، وقاتل فرسان الداوية دفاعا عن حصنهم في المدينة ، وقبل أن يسقط حصنهم :

« تمكن أحد عشر واحدا منهم مـن الهـرب مـن بـاب سري ، وصعدوا إلى ظهـر مـركب كان بـانتظارهم وحملوا معهـم جميع الثروات التي جمعوها في الشرق خلال قرنين من الزمن » (٦٦) .

وبعدما صـفت عكا للمسـلمين أمـر السـلطان الأشرف خليل بتدميرها حسب القاعدة التـي كان السـلطان الظـاهر بيبـرس طبقها ، وما إن وصلت أخبار تحرير عكا إلى المناطق الساحلية التي كانت ماتزال بأيدي الفرنجة مثل عتليت وصيدا وبيروت « حتى ألقى الله الرعب » في قلوب أهلها فأخلوها وهربوا .

بذلك طويت ملحمة الحروب الصليبية ، وهي بلاشك مـن أعظـم ملاحم التاريخ وأطولها ، استمرت وقائعها مدة تقارب القرنين مـن الزمن واشتركت فيها أوروبا كلها بشعوبها وطاقاتها .

ولوقائع هذه الحروب دروس وعبر ونتـائج خـطيرة على المشرق العربي وأوروبا سواء مـن الجـوانب السـياسية والاقتصـادية والحضارية والعسكرية كافة . ولاشك أن أهم دروس وعبـر هـذه الملحمة هو : أن العرب تحل بهم الهزيمة عندمـا تـكون صـفوفهم ممزقة وقواهم مبعثرة ، ولايمـكن لشـمل العـرب أن يجتمـع إلا بالوحدة . وبعدما طـرد الصـليبيون مـن المشرق ، وقبـل أن يزول

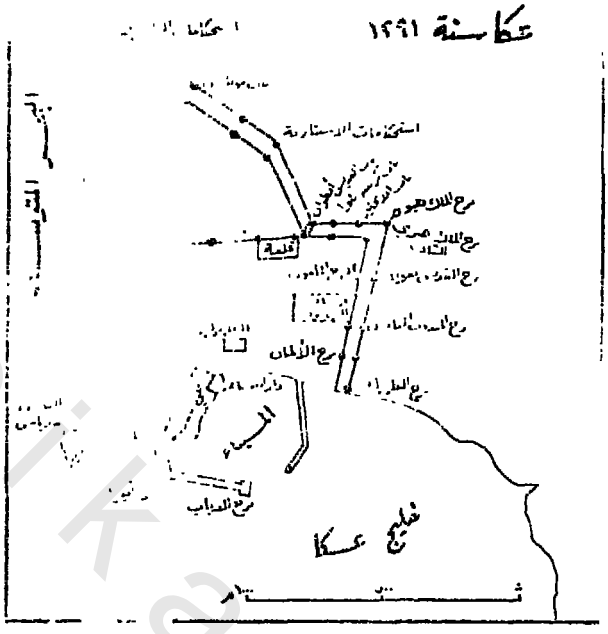
عكا سنة ١٢٩١
البحر المتوسط
استحكامات الاستارية
مرج اللاذقية
مرج الأمان
البحر
مرج الضباب
خليج عكا

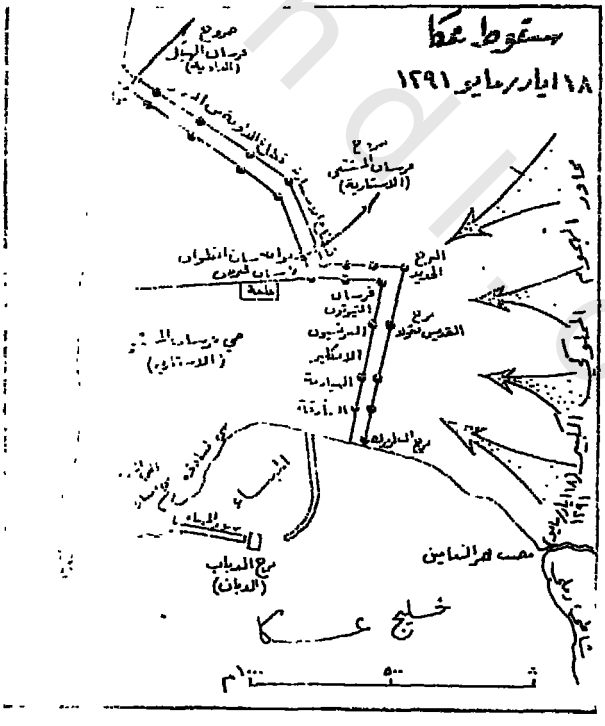
سقوط عكا
١٨ ايار مايو ١٢٩١
صدع فرسان الداوية
صدع فرسان المستشفى (الاستارية)
فرسان التيوتون
القديس توماس
العيادية
مرج الضباب (الدبان)
البحر
خليج عكا

الخطر المغولي انتاب الضعف دولة المماليك وأخذت تتخبط بـأزمات وصراعات مدمرة ، ومنذ ذلك الحين شرعت قـوة العـرب بـالمشرق بالضعف وحضارتهم بالتدهور السريع والجمود المقيت ، بينما بعثت في أوربا التي خسرت الحروب الصليبية حضارة سببت لهـا القـوة وقادتها من جديد نحو ديار العروبة والاسلام .

ويتساءل الباحث عن أسباب انحطاط العرب مـع أنهـم حـازوا النصر ، وبعث أوربا مع أنها كانت المهزومة ؟ ولعل من بين أسباب ذلك أن أوربا الاقطاعية الشديدة التمسك بـالكاثوليكية حين خسرت الحرب كانت تلك الخسارة ضربة مميتة للنظام الاقطاعي والكنيسـة معافي أوربا الغربية ، وفي المقابل نجد أن الحروب الصليبية التي طال أمدها قد مكنت في البداية القادة العسكريين الغرباء في الشرق المسلم من تسلم زمام الأمور ، وساعدت على التعصب الديني ، وعلى حلول الغيبيات محل العقل ، وخلقت إلى جانب الاقطاع العسكري اقطاعا دينيا كان جديدا كل الجدة في تـاريخ الاسـلام ، ومـع الأيام زادت صلاحيات الجند على حساب المؤسسات المدنية ، وترسخت قـواعد انظمة للكهنوت الاقطاعي في الاسلام .

وعندما توقفت الحرب أصبح الجند المماليك عالة على الأمة ، ثـم إن الشعور بالنصر والسلم والأمان بعد عهود طويلة مـن الحـروب والدمار ، مع سيطرة التصوف وجبروت شيوخ الطرق ، ومـع زوال عوامل التحدي دفع العرب نحو الاخلاد إلى الراحة والسكينة ، وإلى قبول نوع جديد من التمزق السياسي ، أضف إلى هذا بما أن الأمـة وجهت أيام الحروب معظم طاقاتها ، ورصدت كافة إمكاناتها المادية والعقلية للمعركة ، ولوجود حالة استثناء (طوارىء) بشكل دائم ، عطل هذا مـع الأيام الكثير مـن جـوانب التجـديد في الحياة و الحضارة ، وولد الأوهام والتسليم لشطحات الصوفية ، ومعـروف أن حالة الاستثناء تلغي دور العقل لأنها تعطل الحرية ، ويولد هـذا بالتالي التعصب الأعمى والتزمت والجهل والاحتكار والأمية .

إن تعطيل الحريات وإهمال الحضارة والثقافة والتعصب الأعمى كان ومازال الداء العضال وافة العرب العظمى ، ومعلوم أن العرب لم يتمكنوا قط من صنع حضارة وثقافة وهم مستعبدون ممزقون ، لكنهم كلما اتحدوا ، وملكوا استخدام العقل بكل اتزان وحرية وتسامحوا بمنطق متفتح ، صنعوا كل شيء مفيد ، ففي الوحدة الهادفة الواعية كمن - ولايزال يمكن - سر نهوض العرب والمسلمين ، لأن الله مع الجماعة .

obeikandl.com

الحواشي والهوامش

الباب الثاني

الفصل الأول

١ ـ تاريخ حلب للعظيمي ـ ط . دمشق ١٩٨٤ ص ٣٥٦ .
٢ ـ الحرب الصليبية الأولى لحسن حبشي ـ ط . القاهرة ١٩٤٧ ص ٢١ ـ ٢٢ .
٣ ـ أوربا العصور الوسطى لسعيد عبد الفتاح عاشور ـ ط . القاهرة ١٩٦٦ . ص ٣٥٦ ـ ٣٦ ، ٩١٦ . بابوات من الحي اليهودي ـ ترجمة عربية ـ ط . دمشق ١٩٨٣ ص ٢٠٩ ـ ٢٤٠ .
٤ ـ أعمال الفرنجة ، ٨٢ ، ٨٥ ـ ٨٦ ، ٩٢ ـ ٩٦ ، ابن القلانسي ، ١٣٣ ـ ١٣٦ ، العظيمي ، ١٩١ و ـ ظ ، الكامل ، ط ، القاهرة ، ٨ / ١٨٦ ـ ١٨٧ ، زبدة الحلب ، ٢ / ١٢٩ ـ ١٣٨ ، بغية الطلب ، أحمد الثلث ، ٦ / ٨٩ ظ ـ ٩٠ و ، الحركة الصليبية ، للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ١٩٦٣ ، ١ / ٢٠٠ ـ ٢١٨ ،
٥ ـ سنتعرف إلى هؤلاء بالتفاصيل الوافية في الجزء التالي .
٦ ـ سنقدم بعد قليل عرضا موجزا حول تاريخ الدولة البورية في دمشق .
٧ ـ ابن القلانسي ص ٢١٤ .
٨ ـ ابن القلانسي ص ٢١٤ .
٩ ـ ابن القلانسي ص ٢١٤ ، ٢٣٣ ، ترجمتا دقاق وطغتكين من تاريخ ابن عساكر ـ زكار مدخل ص ٣٨٦ ، ٤٠٨ .
١٠ ـ ابن القلانسي ص ٢٣٤ .
١١ ـ ابن القلانسي ص ٢٣٥ .
١٢ ـ ابن القلانسي ص ٢٣٥ . انظر ايضا مرآة الزمان : سنة ٤٩٨ هـ .
١٣ ـ ابن القلانسي ص ٢٤٠ . الكامل ـ ط . القاهرة ـ ٨٠ ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩ .
١٤ ـ ابن القلانسي ص ٢٤١ ـ ٢٤٤ ، ٢٥٠ ـ ٢٦٣ . الكامل ـ ط . القاهرة ـ ٨٠ ص ٢١١ ، ٢٢١ ، ٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ٢٥٠ ـ ٢٥١ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ـ ٢٥٩ . سبط ابن الجوزي يوسف ابن قزاوغلي ـ مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ـ ط . حيدر اياد الدكن ١٩٥١ ج ١ ص ٢٥ ، ٢٧ ـ ٢٨ .
١٥ ـ ابن القلانسي ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤ .
١٦ ـ انظر وصف عملية اغتيال مودود لدى ابن القلانسي ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩ ، وفي نصوصنا المقبلة مع رأي وليم الصوري ص ٥٥٠ .
١٧ ـ ابن القلانسي ص ٣٠٦ ـ ٣١٣ ، حيث أثبت نسخة كامله لهذا المنشور .
١٨ ـ ابن القلانسي ص ٣٤٢ ـ ٣٤٣ ، ٣٤٧ ـ ٣٤٨ ، الكامل ـ ط . القاهرة ـ ج ٨ ص ٣٢٦ ـ ٣٢٧ .

مرآة الزمان ـ ط . حيدر أباد ج ١ ص ١١٨ ، ١٢٧ ، ١٢٨ .
١٩ ـ ابن القلانسي ص ٣٥٠ ـ ٣٧١ . الكامل ـ ط . القاهرة ـ ج ٨ ص ٣٢٧ ـ ٣٣٧ . مرآة الزمان ـ ط . حيدر أباد ـ ج ١ ص ١٢٧ ـ ١٤٣ . وليم الصوري ج٢ ص ٦٤٥ ـ ٦٤٧ .
٢٠ ـ ابن القلانسي ص ٣٧٢ ـ ٣٨٩ . الكامل ـ ط . القاهرة . ـ ج٨ ص ٣٣٩ ـ ٣٤٦ . مرآة الزمان ـ ط . حيدر أياد ـ ج ١ ص ١٤٥ ـ ١٥٣ .
٢١ ـ ابن القلانسي ص ٣٩٠ ـ ٣٩٢ . الكامل ـ ط . القاهرة ـ ج ٨ ص ٣٤٦ . مرآة الزمان ـ ط . حيدر أباد ـ ج ١ ص ١٥٣ ـ ١٥٤ .
٢٢ ـ ابن القلانسي ص ٣٩٧ ، ٤١٣ . الكامل ـ ط . القاهرة ـ ج ٨ ص ٣٥٩ ، ٣٦٤ .
٢٣ ـ ابن القلانسي ص ٤١٨ ، ٤٢١ ـ ٤٢٢ . الكامل ـ ط . القاهرة ـ ج ٨ ص ٣٦٤ . مرآة الزمان ـ ط . حيدر أباد ـ ج ١ ص ١٧١ ـ ١٧٢ .
٢٤ ـ ابن القلانسي ص ٤٢٤ ـ ٤٢٧ . الكامل ـ ط . القاهرة . ج ٨ ص ٣٦٤ ـ ٣٦٥ ، ٣٦٧ ـ ٣٦٨ . مرآة الزمان ـ ط . حيدر أباد ـ ج ١ ص ١٧١ ـ ١٧٢ . وليم الصوري ج ٢ ص ٧٠٥ ـ ٧٠٧ .
٢٥ ـ ابن القلانسي ص ٤٥٠ ـ ٤٥٣ . وليم الصوري ج ٢ ص ٧٤٢ ـ ٧٥٢ .
٢٦ ـ ابن القلانسي ص ٤٦٣ .
٢٧ ـ ابن القلانسي ص ٤٦٣ ـ ٤٦٦ . الكامل ـ ط . القاهرة ـ ج ٩ ص ٢٠ ـ ٢١ . مرآة الزمان ـ ط . حيدر أباد ج ١ ص ١٩٧ ـ ٢٠٠ . وليم الصوري ج ٢ ص ٧٧٨ ـ ٧٨٧ .
٢٨ ـ ابن القلانسي ص ٤٧٥ ـ ٤٧٦ . الكامل ـ ط . القاهرة ـ ج ٩ ص ٣٦ ـ مرآة الزمان ـ ط . حيدر أباد ج ١ ص ٢٠١ ـ ٢٠٣ .
٢٩ ـ ابن القلانسي ص ٤٩١ .
٣٠ ـ ابن القلانسي ص ٥٠٤ . الكامل ـ ط . القاهرة ـ ج ٩ ص ٤٥ ـ ٤٦ . مرآة الزمان ـ ط . حيدر أباد ج ١ ص ٢٢٠ ـ ٢٢٣ . وليم الصوري ج ٢ ص ٨١٤ ـ ٥١٥ .
٣١ ـ وليم الصوري ج ٢ ص ٨١٥ .

الفصل الثاني

١ ـ الباهر لابن الاثير : ١٦ ـ ٣٥ .
٢ ـ الباهر : ٣٥ .. الكامل لابن الاثير : ٨ / ٣٢٥ ـ ٣٢٦ .
٣ ـ الباهر : ٣٥ ـ ٣٨ . .
٤ ـ الكامل لابن الاثير ٩ / ٨ ـ ٩ : الباهر : ٦٦ ـ ٧١ .
٥ ـ أوسع التفاصيل حول هذه الحملة متوفرة في نصوص موسوعتنا .
٦ ـ لدينا تفاصيل شاهد عيان لاستعادة الرهـا في رواية السرياني المجهـول فلتنظـر ضـمن النصوص السريانية من موسوعتنا .
٧ ـ وليم الصوري ج ٢ ص ٧٧٩ ـ ٧٨٧ . ابن القلانسي : ٤٦٢ ـ ٤٦٥ . الروضتين لأبـي شامه ج ١ ص ٥١ ـ ٥٣ .
٨ ـ وليم الصـوري ج ٢ ص ٨١٥ . ابـن القـلانسي : ٥٠٢ ـ ٥٠٥ . مفـرج الكروب ج ١ ص ١٢٦ ـ ١٢٨ . الباهر ١٠٧ ـ ١٠٨ .
٩ ـ الباهر : ١٠٧ .
١٠ ـ ابـن القـلانسي : ٥٢١ ـ ٥٣٦ . وليم الصـوري : ٨٤٥ ـ ٨٥٨ . الروضـتين ج ١ ص ١٢٠ ـ ١٢١ .
١١ ـ جلب صلاح الدين هذا المنبر إلى القدس بعد تحريرها وظل مـوجودا في المسـجد الاقصى حتى احراقه مع قسم من هذا المسجد إثر حرب ١٩٦٧ .
١٢ ـ الكامل : ١١ / ١٣٨ ، البـاهر : ١١٩ ـ ١٢٠ ، الروضـتين ١ / ٨٥ ـ ٨٨ب / ٣٢٩ ٣٣٠ ، المحاسن اليوسفية : ٦٠ ، السلوك : ١ / ١ / ٤٠ ـ ٤٢ ، زبدة الحلب : ٢ / ٢٥٥ .
١٣ ـ الروضتين : ١/ ١٠٠.
١٤ ـ لقد عالجت هذه القضايا بشكل مفصل في كتبي التـالية : مـدخل الى تـاريخ الحـروب الصليبية . الدعوة الاسماعيلية الجديدة الجامع في أخبار القرامطة ـ تـاريخ العـرب والاسـلام ، فلتنظر .
١٥ ـ النوادر السلطانية : ٣٦ ، سنا البـرق الشـامي : ٦٠ ـ ٦١ ، البـاهر : ١٢٢ ، الروضتين : ١ / ١٢٩ ـ ١٣٢ ، شفاء القلوب : ٢٥ ـ ٤٦ ، نور الدين لدؤنس : ٢٨٩ ـ ٢٩٧ .

١٦ ـ الروضتين : ١ / ١٤٢ ـ ١٤٥ ، النوادر السلطانية : ٣٧ ـ ٣٩ ، سنا البـرق الشـامي : ١ / ٦٢ ـ ٦٥ ، مرآة الزمـان : ١ / ٢٦٨ ـ ٢٧٠ ، البـاهر : ١٣٢ ـ ١٣٤ ، شـفاء القلوب : ٢٨ ـ ٣١ ، السلوك : ١ / ١ / ٤٣ ، مؤنس : ٢٩٧ ـ ٣٠٤ .

١٨ ـ سنا البـرق الشـامي : ٧٧ ـ ١١٥ ، النوادر السـلطانية : ٤١ ـ ٤٥ ، الروضـتين : ١ / ١٧٨ ـ ٢٠٣ ، البـاهر : ١٤٣ ـ ١٥٩ ، مـرآة الزمـان : ١ / ٢٧٩ ـ ٢٩٥ ، النجـوم الزاهرة : ٦ / ١٦ ـ ٢٤ .

١٩ ـ الروضـتين : ١ / ١٥٩ ، البـاهر : ١٥٦ ـ ١٥٨ ، خـطط المقـريزي : ١ / ٨٦ ـ ٨٧ السلوك : ١ / ١ / ٧٥ ، دراسات في حضارة الاسلام لجب : ٩٧ ـ ١٠٣ .

٢٠ ـ الباهر : ١٥٨ ـ ١٦٢ ، الروضـتين : ١ / ٢٠٦ ـ ٢٣١ ، سـنا البـرق الشـامي : ١ / ١٢٣ ـ ١٥٥ ، النوادر السلطانية : ٤٥ ـ ٤٧ ، مرآة الزمان : ١ / ٢٩٢ ـ ٣٢٥ ، النجوم

الزاهرة : ٦ / ٦٤ ـ ٧١ ، السلوك : ١ / ١ / ٤٨ ـ ٥٥ ، نور الدين : ٣٤١ ـ ٣٥٧ ، جب : ١٠٠ ـ ١٠٢ .

٢١ ـ انظر كتابي امارة حلب ـ ط دمشق ، دار الكتاب العربي ص ٣٤ ـ ٤٢ ، ٩٦ ـ ١٠٢ .

obeikandl.com

الفصل الثالث

١ ـ سنا البرق الشامي : ١٥٥ ـ ٣٥٩ ، البـاهر : ١٧٦ ـ ١٨٤ ، الروضتين : ١ / ٢٣١ ـ ٢٧٩ ، ٢ / ٣ ـ ٧٤ ، النوادر السلطانية : ٥٠ ـ ٧٥ ، زبدة الحلب : ٣ / ٩ ـ ٦٧ ، مرآة الزمان : ١ / ٣٢٦ ـ ٣٨٨ ، شفاء القلوب : ٨٤ ـ ١٠٩ ، النجوم الزاهرة : ٦ / ٧٣ ـ ١٠٤ ، السلوك : ١ / ١ / ٥٨ ـ ٩٢ .

٢ ـ يقع حصن الكرك على مقربة من البحر الميت ، على الطريق الواصلة بين مصر والشام ويتحكم بها ، وكان صاحب الكرك فارس صليبي متعصب جدا فيه عجرفة ورعونة شديدة ، اسمه رينودي شاتيون ، وقد عرفه العرب باسم أرناط ، وفي سنة ٥٨٢ هـ / ١١٨٧ م ، هاجم أرناط قافلة مسلمة كانت قادمة من القاهرة الى دمشق ، فانتهب ثرواتها ، وأسر الذين كانوا فيها ، وفي مواجهة هذا الحادث تذرع صلاح الدين في البداية بالحلم والصبر ، فأرسل وفدا الى أرناط يطلب منه اطلاق سراح الاسرى ، ورد المنهوبات ، فرفض أرناط بكل قحة وتحدي ، وهنا أرسل صلاح الدين مبعوثا الى ملك القدس ، فلم يستطع هذا فعل شيء ، وأدى هذا الحال الى اعتبار صلاح الدين أن الهدنة بينه وبين الفرنجة لاغية ، فاستنفر قواته ، وقرر الزحف على رأس عساكره ، الزحف الذي قاده الى حطين .

٤ ـ قبل لوبية على اليسار ، وما بين لوبية وقرية ناصر الدين ، وامتدادا إلى الجنوب حيث قرية كفر سبت في منطقة الشجرة .

٥ ـ الفتح القسي : ٣٦ ـ ٥٠ . النوادر السلطانية : ٤٩ ـ ٥٥ . الروضتين : ٧٥ ـ ٨١ . الأنس الجليل : ١ / ٣١٦ ـ ٣٢١ . عيون الروضتين : ٢٣٣ أ ـ ٢٣٩ أ . شفاء القلوب : ١٢٨ ـ ١٣٠ . الكامل لابن الاثير : ١١ / ٥٤٦ ـ ٥٥٣ . شذرات الذهب : ٤ / ٢٧٤ ـ ٢٧٣ . المختصر في أخبار البشر : ٣ / ٧١ ـ ٧٤ . طبقات الشافعية : ٤ / ٣٢٥ ـ ٣٤١ . زبدة الحلب : ٨٣٩ ـ ٨٤٦ . مرآة الزمان : ١ / ٣٨٩ ـ ٤٠٢ . الاعلام والتبيين : ٨١ ـ ٨٥ . الحروب الصليبية لرفيق التميمي : ٥٥ب ـ ١٦٧ . حياة صلاح الدين الأيوبي لأحمد بيلي : ١٥٣ ـ ٢١٠ . الحروب الصليبية في المشرق والمغرب : ٥٦ ـ ٦٩ .

٦ ـ ابن شداد : ٧٩ ـ ٩٧ ، ١٣٦ الفتح القسي : ٧٦ ـ ١٠٩ . الروضتين : ٢ / ٨٧ ـ ١٣٥ .

٧ ـ ابن شداد : ١٠٤ ـ ١٠٥ .

٨ ـ الفتح القسي : ٣٠٢ ـ ٣٠٣ الروضتين : ٢ / ١٤٨ ـ ١٦٢ . ابن شداد : ١٠٩ ـ ١١٥ .

٩ ـ الفتح القسي : ٢٩٨ ـ ٢٩٩ .

١٠ ـ ابن شداد : ١٠٣ ـ ١٧٢ . الفتح القسي : ٢٩٦ ـ ٥١٣ . الكامل في التاريخ : ١٢ / ٣٢ ـ ٦٨ . الروضتين : ٢ / ١٤٢ ـ ١٩٠ . النجوم الزاهرة : ٦ / ١٠٤ ـ ١١٣ .

١١ ـ انظر ملحمة رتشارد قلب الأسد ضمن كتب موسوعتنا .

١٢ ـ ابن شداد : ١٧٤ ـ ٢٤٨ . الفتح القسي : ٥٢٨ ـ ٦٢٧ . الكامل لابن الاثير : ١٢ / ٦٣ ـ ٩٥ . الروضتين : ٢ / ١٩٠ . النجوم الزاهرة : ٦ / ١١٢ ـ ١٣٢ .

الفصل الرابع

١ ـ وليم الصوري ـ الأعمال المنجزة : ج ٢ ، ص ٣٧٥ .
ابن شداد ـ المحاسن اليوسفية : ص ٤٩ ـ ٥٥ .
ـ ابو شامة ـ الروضتين : ج ٢ ، ص ٧٥ ـ ٨١ .
ـ العماد محمد بن محمد الاصفهاني ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، ط القاهرة ص ٣٦ ـ ٥٠ .
ـ مجير الدين العليمي الحنبلي ، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، ط . عمان ١٩٧٣ ، ج ١ ، ص ٣١١ ـ ٣٢١ .
ـ الحنبلي ، شفاء القلوب : ص ١٢٨ ـ ١٣٠ .
ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٨٣٩ ـ ٨٤٦ .
ـ ـسبط ابن الجوزي ـ المرآة : ج ١ ، ص ٣٨٩ ـ ٤٠٢ .
ـ اسماعيل بن عمر بن كثير ـ البداية والنهاية . ط . القاهرة ١٩٣٢ ـ ١٩٣٣ ، ج ١٢ ، ص ٣٢٢ ـ ٣٢٧ .
٢ ـ ابن شداد ـ المحاسن ص ١٧٤ ـ ٢٤٨ .
ـ العماد الاصفهاني ، الفتح ، ص ٥٢٨ ـ ٦٢٧ .
ابو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٩٠ ـ ٢١٣
٣ ـ العماد الاصفهاني ، المصدر نفسه ، ص ٣٥٨ ـ ٣٥٩ .
ـ ابن واصل ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٧٨ ـ ٣٧٩ .
ـ ابو شامة ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٢٦ .
٤ ـ ابن واصل ، مفرج ، ج ٢ ص ٢٧ ـ ٦١ .
ـ ابو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ٢٢٩ ـ ٢٣١ .
المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ١١٧ ـ ١٤١ .
ـ اسماعيل بن علي ابو الفداء صاحب حماه ، المختصر في أخبار البشر دار المعرفة ، ج ٣ ، ص ٦٦ ـ ١٠٠ .
ـ يوسف بن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في معرفة ملوك مصر والقاهرة ط . القاهرة ١٩٢٩ ـ ١٩٣٦ ، ج ٦ ، ص ١١٦ ـ ١٢٢ .
٥ ـ أبو الفداء ، المختصر ، ج ٣ ، ص ١٢٧ ـ ١٧٥ .
ـ المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٢٣٨ ـ ٢٤١ ، ٣٠٥ ـ ٣١٥ .
ـ أبو المحاسن ، النجوم ، ج ٦ ، ص ٢٣٣ ، ٣٢٢ .
ـ ابو شامة ، ذيل الروضتين ، ج ١ ، ص ١٧٤ ـ ١٧٨ .
٦ ـ ابن واصل ، مفرج ، ج ٤ ، ص ٢٤١ ـ ٢٥٣ .
ـ المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٢٦٨ ـ ٢٧٥ ، ٣٣٩ ـ ٣٦٠ .
ـ محمد بن علي بن نظيف الحموي ، التاريخ المنصوري ، ط . دمشق ، ١٩٨٢ ص ١٧٦ ـ ١٩٤ .
ـ احمد مختار العبادي ، قيام دولة المماليك الاولى ، ط . بيروت ١٩٦٩ م ص ١٠٤ ـ ١١٣ .
٧ ـ ابن واصل ، مفرج ، ج ٢ ، ص ٣٢٩ ـ ٣٤٠ .
ـ محمد بن احمد ابن اياس ـ بدائع الزهور في وقائع الدهور ـ ط . القاهرة

١٩٦٠ ـ ١٩٦١ ، ج ١ ، ص ٧٠ .
ـ المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٣٣٩ ـ ٤٤٠ .
ـ الخطط (المواعظ والاعتبار) ط . بيروت ، مطبعة احياء العلوم ج ٢ ، ص ١١٦ ، ٢١٧ .
ـ ابو الفداء ، المختصر ، ج ٣ ، ص ١٨٨ .
ـ العبادي ، قيام ، ص ٦٣ ـ ١٤٤ .
ـ ابو المحاسن ، النجوم ، ج ٦ ، ص ٣٠٩ .
٨ ـ ابن واصل ـ مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ٢٤١ ـ ٢٥٣ . ابن نظيف ـ التاريخ المنصوري ص ١٧٦ ـ ١٩٤ .
المقريزي ـ السلوك ج ١ ، ص ٢٦٨ ـ ٢٧٥ . فولفغانغ مولر ، ـ القلاع أيام الحروب الصليبية ص ٢٧ ـ ٢٩ . زكار ـ حطين ص ١٧١ ـ ١٨٥ .
٩ ـ
١٠ ـ المقريزي ـ السلوك ج ١ ص ٢٣٩ ـ ٣٦٠ . جوزيف نسيم ـ العدوان الصليبي على مصر ص ١٩٧ ـ ٢٥٧ .
العبادي ـ قيام دولة المماليك الأولى ص ١٠٤ ـ ١١٣ .
١١ ـ المقريزي ـ السلوك ج ١ ، ص ٣٦١ ـ ٣٦٨ . ابو الفداء ـ المختصر ج ٣ ، ص ١٨١ ـ ١٨٢ . العبادي ـ قيام دولة المماليك الأولى ص ١١٠ ـ ١٢١ . ، جوزيف نسيم ـ العدوان ص ٣٦٦ ـ ٣٦٨ .
١٢ ـ المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٣٦٠ ـ ٣٦٥ ، وابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج ٣ ، ص ١٨١ ، ١٨٢ ، والعبادي ، قيام دولة المماليك الأولى ، ص ١١٠ ـ ١٢١ ، ويوسف ، العدوان الصليبي على مصر ، ص ٢٦٦ ـ ٢٦٨ ، ويوسف ، العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ص ٤٥ ـ ٨٨ .
١٣ ـ المقريزي ، السلوك ، ح ١ ، ص ٣٦٧ ـ ٣٨٩ ، وابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج ٣ ، ص ١٨٢ ـ ١٨٧ ، ويوسف ، العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ص ١٣٩ ـ ١٨٧ ، ويوسف غوانمة ، إمارة الكرك الأيوبية ، ص ٢٨٨ ـ ٢٩٩ .
١٤ ـ انظر : فولفغانغ ، القلاع أيام الحروب الصليبية ، ص ٢٧ ـ ٣٠ .
١٥ ـ أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٤٣ ، ومحمد بن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤ ، ومحمد بن عبد الله اللواتي (ابن بطوطة) ، رحلة ابن بطوطة ، ص ٣٠ ـ ٣٣ ، وأحمد بن عبد الله القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الانشاء ، ج ٤ ، ص ١٥٢ .
١٦ ـ يوسف ، العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ص ٩٥ ، ٩٩ ، وانتوني بردج ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٢٧٥ ـ ٢٨٠ ، وعادل زيتون ، العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ص ١٤٤ ـ ١٦٥ .
١٧ ـ المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٣٦٨ ـ ٣٨٥ ، وابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج ٣ ، ص ١٨٣ ـ ١٨٧ ، والعبادي ، قيام دولة المماليك الأولى ، ص ١٢٥ ـ ١٢٩ ، وغوانمة ، إمارة الكرك الأيوبية ، ص ٢٨٨ ـ ٢٩٩ .
١٨ ـ أبو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ح ٣ ، ص ١٩٣ ـ ١٩٥ ، وعمر بن الوردي ، تتمة المختصر في اخبار البشر ، ج ٢ ، ص ١٨٦ ، وابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ١٣ ، وإسماعيل بن عمر بن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ١٨٤ ، وسعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ١٠٩ ، والعبادي ، قيام دولة المماليك الأولى ، ص ١٢٦ ـ ١٢٧ ، ويوسف ، العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ص ١٦٥ ـ ١٧٠ .
٢١ ـ يوسف ، العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ص ١٧٢ .
٢٢ ـ المرجع نفسه ، ص ١٧٦ ـ ١٧٩ .

٢٣ ـ أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، ج ٣ ، ص ١٩٥ ، وعبد الرحمن بن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج ٥ ، ص ٣٦٣ ، والمقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٣٨٥ ؛ وابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٠ ؛ ويوسف ، العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ص ١٨٥ ـ ١٨٦ ؛ وغوانمة ، إمارة الكرك الايوبية ، ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤ ؛ والعبادي ، قيام دولة المماليك الاولى ، ص ١٢٧ ـ ١٢٨ .

٢٤ ـ يوسف ، العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ص ١٩٧ ـ ٢٢٣ ، ٣٤٦ ـ ٣٥١ ؛ والعبادي ، قيام دولة المماليك الاولى ، ص ١٤١ ؛ وغوانمة ، إمارة الكرك الايوبية ، ص ٢٩٥ ـ ٢٩٧ .

٢٥ ـ العبادي ، قيام دولة المماليك الاولى ، ص ١٢٨ ـ ١٤١ ، وغوانمة ، إمارة الكرك الايوبية ، ص ٢٩٧ ـ ٢٩٩ .

٢٦ ـ انظر في هذا الصدد : برتولد شبولر ، العالم الاسلامي في العصر المغولي ؛ ورينيه غروسيه ، جنكيز خان ، عطاء الملك الجويني ، تاريخ فاتح العالم ؛ وجعفر خصباك ، العراق في عهد المغول الايلخانيين ؛ ومصطفى طه بدر ، مغول إيران بين المسيحية والاسلام ؛ وفؤاد عبد المعطي الصياد ، المغول في التاريخ ؛ ورشيد الدين فضل الله الهمذاني ، جامع التواريخ .

٢٧ ـ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٤٧٧ ـ ٤٧٩ ؛ وأحمد اليونيني البعلبكي ، ذيل مرآة الزمان ، ج ١ ، ص ٣٤٩ ـ ٣٧٤ ، ٣٨٠ ـ ٣٨٤ ، و ج ٢ ، ص ٢٨ ـ ٣٦ ؛ والمقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٤٢٢ ـ ٤٣١ ؛ وابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٩٩ ؛ وأبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، ج ٣ ، ص ٣١٤ ، وعبد الرحمن بن إسماعيل ـ أبو شامة ، ذيل الروضتين ، ص ٢٠٨ ؛ والعبادي ، قيام دولة المماليك الاولى ، ص ١٤٧ ـ ١٦٧ ، ٢٥٤ ـ ٢٦٨ ؛ وغوانمة ، إمارة الكرك الايوبية ، ص ٢٩٩ ـ ٣٠٩ ؛ ومحمد أحمد دهمان ، ولاة دمشق في عهد المماليك ، ص ٥٢ ـ ٥٥ .

٢٨ ـ المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٤٣٠ ـ ٤٣١ .

٢٩ ـ اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، ج ١ ، ص ٣٧٥ .

٣٠ ـ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٥٣٠ ـ ٥٥٠ .

٣١ ـ ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، ص ٦٨ ؛ وسعيد عبد الفتاح عاشور ، الظاهر بيبرس ، ص ٣٦ ـ ٤٤ ؛ والعريني ، دولة الظاهر بيبرس ، ص ٤٥ ـ ٦٢ .

٣٢ ـ لمزيد من التفاصيل انظر : زكار ، مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية ، ص ١٧٦ ـ ١٩٦ ؛ أحمد بن فضلان ، رسالة ابن فضلان ، ص ١٩١ ـ ١٩٤ .

(وقد ترجمت هذا الكتاب إلى العربية ونشرته في بيروت) ؛ ولابيدوس ، مدن الشام ، ص ٢٠٥ ـ ٢٢٠ .

٣٣ ـ ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ١١٨ .

٣٤ ـ المصدر نفسه ، ص ١١٩ ـ ١٢٠ ؛ والمقريزي ، السلوك ، ج١٠ ، ص ٤٦٠ ـ ٤٦٤ ؛ وابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ح ٧ ، ص ٢٠١ .

٣٥ ـ ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ١٢١ ، ١٦٢ ، ١٦٦ ـ وعالج يوسف غوانمة سقوط الكرك بقدر كبير من التفصيل في كتابه إمارة الكرك الايوبية ، ص ٣١٠ ـ ٣٣٣ .

٣٦ ـ ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ١٥٧ ؛ والمقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٤٨٧ ـ ٤٨٨ .

٣٧ ـ ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ١٥٥ ـ ١٥٦ ؛ والمقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٤٨٧ ـ ٤٨٨ .

٣٨ ـ ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ١٥٨ ـ ١٦٦ ؛ والمقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٤٨٧ ـ ٤٩٣ ؛ واليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، ج ٢ ، ص ١٩٢ ـ ١٩٤ .

٣٩ ـ ستيفن رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية (ترجمة عربية) ، ج ٣ ، ص ٥٥٤ ـ ٥٥٥ .

٤٠ ـ ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ٢٢١ ـ ٢٢٣ ؛ والمقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٥٢٧ ـ ٥٣٤ ؛ واليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، ج ٢ ، ص ٣١٧ ـ ٣٢٠ ؛ وأبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، ج ٤ ، ص ٢ ، ورنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٣ ، ص ٥٤٦ ؛ وسرور ، بيبرس ، ص ٧٠ ـ ٧١ .

٤١ ـ ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ٢٣٤ ـ ٢٤٣ ؛ والمقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٥٢٧ ـ ٥٥٧ ؛ واليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، ج ٢ ، ص ٣١٩ ـ ٣٢٠ ؛ وأبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، ج ٤ ، ص ٢ ؛ وسرور ، بيبرس ، ص ٧٠ ؛ والعبادي ، قيام دولة المماليك الأولى ، ص ٢٢٤ ؛ والدباغ ، بلادنا فلسطين ، ج ٤ ، ق ٢ ، ص ٣٥٠ ـ ٣٥٤ .

٤٢ ـ المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٥٥٧ ، وج ٢ ، ص ٦٧٤ ؛ وابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٩٥ ؛ والدباغ ، بلادنا فلسطين ، ج ٣ ، ق ٢ ، ص ٣٣٦ ـ ٣٣٧ .

٤٣ ـ ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ٢٥٠ ـ ٢٥١ ؛ والمقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٥٤٤ ـ ٥٤٥ .

٤٤ ـ ابن شداد ، الأعلاق الخطيرة ، ص ١٤٦ ـ ١٤٨ ؛ وياقوت الحموي ، معجم البلدان ، « مادة صفد » ؛ وأبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣ ؛ وابن شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢١٠ ؛ والطراونة ، مملكة صفد ، ص ٨٤ ـ ٨٨ .

٤٥ ـ ابن شداد ، الأعلاق الخطيرة ، ص ١٤٦ ـ ١٥١ ؛ وابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ٢٥٤ ـ ٢٦٧ ؛ والمقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٥٤٥ ـ ٥٤٨ ؛ وأبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، ح ٤ ، ص ٣ ؛ واليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، ج ٢ ، ص ٣٣٧ ـ ٣٤٣ ؛ وابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ٢٤٧ ؛ وابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٣٨ ـ ١٣٩ ؛ وسرور ، بيبرس ، ص ٧٢ ؛ وعاشور ، الظاهر بيبرس ، ص ٦٥ ـ ٦٧ ؛ والطراونة ، مملكة صفد ، ص ٤٨ ـ ٥١ ؛ ورنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٣ ، ص ٥٥٠ ـ ٥٥١ ؛ والعبادي ، قيام دولة المماليك الأولى ، ص ٢٢٤ ؛ وزكار ، حطين ، ص ١٦١ .

٤٦ ـ ابن شداد ، الأعلاق الخطيرة ، ص ١٥٠ ـ ١٥١ ؛ وابن عبدالظاهر ، الروض الزاهر ، ص ٢٨٠ ـ ٢٨٧ ؛ والمقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٥٦٢ ـ ٥٦٣ .

٤٧ ـ ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣ ؛ والمقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٥٦٤ ـ ٥٦٥ ؛ واليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، ج ٢ ، ص ٣٧٤ ـ ٣٧٦ .

٤٨ ـ سرور ، بيبرس ، ص ٧٥ ـ ٨٨ ؛ والطراونة ، مملكة صفد ، ص ٥٤ ـ ٥٥ ؛ ورنسيمان ، تاريخ الحروب .... ، ج ٣ ، ص ٥٥٦ ، ٥٦١ ؛ والعبادي ، قيام دولة المماليك الأولى ، ص ٢٢٥ ـ ٢٢٩ .

٤٩ ـ ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ٣٦٢ ـ ٣٦٤ ؛ والمقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٥٨٥ ؛ واليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، ج ٢ ، ص ٤٣٠ ـ ٤٣٤ ؛ وأحمد بن علي المقريزي ، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، ص ٨٦ ـ ٩٥ .

٥٠ ـ مصطفى طه بدر ، مغول إيران بين المسيحية والاسلام ، ص ٦٢ ـ ٧٣ ؛ وشبولر ، العالم الاسلامي في العصر المغولي ، ص ٦١ ـ ٧٧ .

٥١ ـ ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ٣٨٥ ـ ٣٨٧ ؛ والمقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٥٩٣ ؛ وابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٥٣ ؛ وابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ٢٥٩ ؛ واليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، ج ٢ ، ص ٤٥٢ ـ ٤٥٦ ؛

والطراونة ، مملكة صفد ، ص ٥٦ ـ ٥٧ ، ١١٧ .

٥٢ ـ ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ٣٨٦ ـ ٣٩٠ ؛ والمقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٥٩٥ .

٥٣ ـ ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ٣٩٨ ؛ وابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ٢٦٣ ؛ والمقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٦٠١ ؛ وابن تغري بردي النجوم الزاهرة = ٧ ، ص ١٥٧ ؛ واليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، ج ٢ ، ص ٤٧١ ؛ وابن شداد ، تاريخ الملك الظاهر ، ص ٣٣ ؛ وسرور ، بيبرس ، ص ٨٨ ـ ٩٠؛ والعبادي ، قيام دولة المماليك الاولى ، ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩ .

٥٤ ـ المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٦٤٢ ـ ٦٥٣ ؛ وابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٢٦٣ ـ ٢٧٠ .

٥٥ ـ ابن عبد الظاهر ، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور ، ص ٨٢ ؛ وعبد الرحيم بن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج ٧ ، ص ٣٠٤ ؛ والمقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٦٨٥ ؛ وابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٣٠٠ ؛ واليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، ج ٤ ، ص ٥٣ ـ ٨٦ ؛ والطراونة ، مملكة صفد ، ص ٥٨ ـ ٥٩ ؛ وسرور ، دولة بني قلاوون ، ص ٢٣٢ .

٥٦ ـ ابن عبد الظاهر ، تشريف الايام ، ص ٢١٠ ـ ٢١١ ؛ وابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج ٧ ، ص ٢٠٥ ؛ واليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، ج ٤ ، ص ٥٣ ، ٨٦ ؛ والمقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٢٨٥ ؛ وسرور ، دولة بني قلاوون ، ص ٢٣٢ .

٥٧ ـ ابن عبد الظاهر ، تشريف الأيام .... ، ص ٢ ـ ٢٢ ؛ ـ وسرور ، دولة بني قلاوون ، ص ٢٣٢ ؛ والطراونة ، مملكة صفد ، ص ٥٩ ؛ رنسيمان ، ج ٣ ، ص ٦٧٠ ـ ٦٧٢ .

٥٨ ـ ابن عبد الظاهر ، تشريف الأيام ... ، ص ٣٤ ـ ٤٣ ؛ وابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج ٧ ، ص ٢٦٢ ـ ٢٧٠ ؛ والقلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ٥٠ .

٥٩ ـ ابن عبد الظاهر ، تشريف الأيام ..... ، ص ٢٦٢ ـ ٢٧٠ ؛ واليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، ج ٤ ، ص ٩١ ـ ٩٤ ؛ وابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج ٤ ، ص ١٤ ـ ١٦ ؛ وابن تغري البردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٣٤٨ ؛ والمقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٦٩١ ـ ٦٩٨ .

٦٠ ـ ابن عبد الظاهر ، تشريف الأيام ، ص ٦٣ ، ٦٦ ، وابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ج ٧ ، ص ٦٧ ؛ ومحمد بن طولون الصالحي ، أعلام الورى بمن ولي نائبا من الاتراك بدمشق والشام الكبرى ، ص ٧ ـ ٨ ؛ وسرور ، دولة بني قلاوون ، ص ٢٣ ـ ٢٥ .

٦١ ـ المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٧٤٦ ـ ٧٤٧ ؛ وابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٣٢٠ ؛ وابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج ٤ ، ص ٢٣ ـ ٢٤ ؛ والحسن بن عمر بن حبيب ، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه ، ج ١ ، ص ١٢٢ ـ ١٢٣ ؛ وسرور ، دولة بني قلاوون ، ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩ ؛ ورنسيمان ، تاريخ الحروب ... ، ج ٣ ، ص ٦٨٥ ـ ٦٨٨ .

٦٢ ـ رنسيمان ، تاريخ الحروب ... ، ج ٣ ، ص ٦٧٣ ـ ٦٨٢ .

٦٣ ـ ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج ٨ ، ص ٩٣ ـ ٩٧ ؛ والمقريزي ، السلوك ، ج ١ ، تاريخ ابن الفرات ، ج ٨ ، ص ٩٧ ؛ والمقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٧٥٣ ـ ٧٥٤ ؛ وابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ٣١٧ ؛ ومحمد بن قايماز الذهبي ، دول الاسلام ، ج ٢ ، ص ١٨٨ ؛ ورنسيمان ، تاريخ الحروب ... ، ج ٣ ، ص ٦٩٠ ـ ٦٩٢ ؛ وسرور ، دولة بني قلاوون في مصر ، ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣ .

٦٤ ـ ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج ٨ ، ص ٩٧ ؛ وابن عبد الظاهر ، تشريف الأيام ، ص ١٧٧ ـ ١٧٩ ؛ وابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ٣٢٠ ؛ والمقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٧٥٤ ؛ وابن حبيب ، تذكرة النبيه ، ج ١ ، ص ١٣٥ ؛ والذهبي ، دول الاسلام ،

ج ٢ ، ص ١٨٨ ـ ١٨٩ ؛ وأبو الفدء ، المختصر في أخبار البشر ، ج ٤ ، ص ٢٣ ـ ٢٤ ؛ وابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٣٨٣ ؛ وسرور ، دولة بني قلاوون ، ص ٤٢ ؛ ورنسيمان ، تاريخ الحروب ..... ، ج ٣ ، ص ٦٩٣ ـ ٦٩٤ .

٦٥ ـ المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٧٦٣ ؛ وابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج ٨ ، ص ٩٨ ، ١١٠ ؛ وابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ٣٢٠ ؛ وابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٣ ـ ٥ ؛ وأبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، ج ٤ ، ص ٢٤ ـ ٢٥ ؛ والذهبي ، دول الاسلام ، ج ٢ ، ص ١٨٩ ؛ ورنسيمان تاريخ الحروب ... ، ج ٣ ، ص ٦٩٥ .

٦٦ ـ ابو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، ج ٤ ، ص ٢٤ ـ ٢٦ ؛ وابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج ٨ ، ص ١١٠ ـ ١١٤ ؛ وابن حبيب ، تذكرة النبيه ، ج ١ ، ص ١٣٧ ـ ١٣٩ ؛ والمقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٧٦٤ ـ ٧٦٦ ؛ وابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٥ ـ ١١ ؛ وابن كثير ، البدعية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ٣٢٠ ـ ٣٢١ ؛ والذهبي ، دول الاسلام ، ج ٢ ، ص ١٨٩ ـ ١٩٢ ؛ ورنسيمان ، تاريخ الحروب ... ، ج ٣ ، ص ٦٩٤ ـ ٧١٣ ؛ وسرور ، دولة بني قلاوون ، ص ٢٤١ ـ ٢٤٤ ؛ والطراونة ، مملكة صفد ، ص ٦٣ ـ ٦٨ .

جريدة أهم المصادر والمراجع

إبراهيم بن أبي الدم ، تاريخ ابن أبي الدم ، نسخة مصورة في مكتبة الباحث عن مخطوطة البودليان مارش ٦٠ .

إبراهيم بن محمد الاصطخري ، المسالك والممالك ، القاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، ١٩٦١ .

إبراهيم محمد علي مهدي ، « إدارة القدس في عهد المماليك » ، (رساله لنيل شهادة الماجستير ، غير منشورة) ، قسم التاريخ ، كلية الآداب والعلوم الانسانية ، الجامعة اللبنانية ، بيروت ، ١٩٨٢ .

أحمد بيلي ، حياة صلاح الدين الأيوبي ، القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٢٦ .

أحمد دراج ، وثائق دير صهيون بالقدس الشريف ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٨ .

أحمد بن عبد الحليم (ابن تيمية) ، الحسبة ، القاهرة ، كتاب الجمهورية الديني ، د . ت .

احمد عبد الحليم يونس ، مدينة صفد في عهد المماليك ، (رسالة لنيل شهادة الماجستير ، غير منشورة) ، قسم التاريخ ، كلية الآداب والعلوم الانسانية ، الجامعة اللبنانية ، بيروت ، ١٩٧٩ .

أحمد بن عبد الله القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الانشا ، القاهرة ، المطبعة الأميرية ، ١٩١٠ ـ ١٩٢٠ .

ـــ ، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، القاهرة ، دار الكتب الحديثة ، ١٩٦٤ .

ـــ ، مآثر الانافة في معالم الخلافة ، الكويت ، وزارة الارشاد والأنباء، ١٩٦٤ .

أحمد بن عبد الوهاب النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، القاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد القومي .

أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، انباء الغمر بأبناء العمر ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ، ١٩٦٩ .
ـــ ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، طبعة مصورة ، بيروت ، دار الجليل ، د . ت .
أحمد بن علي المقريزي ، إغاثة الأمة بكشف الغمة ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة ، ١٩٥٧ .
ـــ ،المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ، بيروت ، مطبعة إحياء العلوم ، د . ت .
ـــ ، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٥٥ .
ـــ ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة ، ١٩٧٠ ـ ١٩٧٣ .
ـــ شذور العقود بذكر النقود ، النجف ، المطبعة الحيدرية ، ١٩٦٧ .
ـــ المقفى الكبير في تراجم أهل مصر والوافدين عليها .
أحمد بن عمر بن رستة ، كتاب الأعلاق النفيسة ، ليدن ، مطبعة برل ، ١٨٩٢ .
أحمد عيسى ، البيمارستانات في الاسلام ، بيروت ، دار الرائد العربي ، ١٩٨١ .
أحمد بن فضل الله ، التعريف بالمصطلح الشريف ، القاهرة ، مطبعة العاصمة ، ١٣١٢ هـ .
أحمد بن فضلان ، رسالة ابن فضلان ، دمشق ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، ١٩٧٧ .
أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٧٩ .
أحمد بن قاضي شهبة ، تاريخ ابن قاضي شهبة ، دمشق ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، ١٩٧٧ .
أحمد بن محمد بن خلكان ، وفيات الأعيان ، القاهرة ، دار المأمون .

أحمد بن محمد بن الفقيه الهمذاني ، كتاب البلدان ، ليدن ، مطبعة بيرل ، ١٩٨٥ .

أحمد مختار العبادي ، قيام دولة المماليك الأولى ، بيروت ، دار النهضة العربية للنشر ، ١٩٦٩ .

أحمد اليونيني البعلبكي ، ذيل مرآة الزمان ، حيدر آباد / الهند ، المطبعة العثمانية ، ١٩٥٤ .

إسماعيل بن الأثير الحلبي ، عبرة أولي الأبصار في ملوك الأمصار ، نسخة مصورة في مكتبة الباحث عن مخطوطة المتحف البريطاني (٣٣٤ ـ ٢٣) .

إسماعيل بن علي (أبو الفداء صاحب حماة) ، تقويم البلدان ، باريس ، ١٨٤٠ .

ـــ ، المختصر في أخبار البشر ، بيروت ، مصورة دار المعرفة ، د . ت .

إسماعيل بن عمر بن كثير ، البداية والنهاية ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٩٣٢ .

إلهام مكي ، مملكة صفد في العهد المملوكي ، (رسالة ماجستير غير منشورة) ، كلية الآداب ـ الجامعة اللبنانية ، بيروت ، ١٩٧٨ .

أنتوني بردج ، تاريخ الحروب الصليبية ، (ترجمة عربية) ، دمشق ، دار قتيبة ، ١٩٨٦ .

أنور زقلمة ، المماليك في مصر ، القاهرة ، مطبعة المجلة الجديدة ، د . ت .

ايرامارفين لابيدوس ، مدن الشام في العصر المملوكي ، (ترجمة عربية) ، دمشق ، دار حسان ، ١٩٨٥ .

برتولد شبولر ، العالم الاسلامي في العصر المغولي ، (ترجمة عربية) ، دمشق ، دار حسان ، ١٩٨٢ .

بنيامين التطيلي ، رحلة بنيامين ، (ترجمة عربية) ، بغداد ،المطبعة الشرقية ، ١٩٤٥ .

جعفر حسين خصباك ، العراق في عهد المغول الايلخانيين ،

بغداد ، مطبعة العاني ، ١٩٦٨ .

جوزيف نسيم يوسف ، العدوان الصليبي على بلاد الشام ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨١ .

ـــ ، العدوان الصليبي على مصر ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨١ .

ـــ ، العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨١ .

جوناثان ايلي سميث ، الاسبتارية ، (ترجمة عربية) ، دمشق ، مركز الدراسات العسكرية ، ١٩٨٤ .

حاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، لايبزغ ، ١٨٣٧ .

الحسن بن عمر بن حبيب ، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه ، القاهرة ، وزارة الثقافة ، مركز تحقيق التراث ، ١٩٧٦ .

حسنين محمد ربيع ، النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين ، القاهرة ، مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٦٤ .

حكيم أمين عبد السيد ، قيام دولة المماليك الثانية ، القاهرة ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧ .

حمزة بن أسد بن علي القلانسي ، كتاب تاريخ دمشق ، دمشق ، دار حسان ، ١٩٨٣ .

حياة ناصر الحجي ، أحوال العامة في حكم المماليك ، الكويت ، شركة كاظمة للنشر ، ١٩٨٤ .

خليفة بن خياط العصفري ، تاريخ خليفة بن خياط ، دمشق ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، ١٩٦٧ .

خليل بن أيبك (الصلاح الصفدي) ، أمراء دمشق في الاسلام ، دمشق ، المجمع العلمي العربي ، ١٩٥٥ .

ـــ ، الوافي بالوفيات ، بيروت ، المعهد الالماني ، ١٩٤٩ ـ ١٩٧٩ .

خليل بن شاهين الظاهري ، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، باريس ، المطبعة الجمهورية ، ١٨٩٤ .

خليل ضـــومط ، الدولة المملوكية ، بيروت ، دار الحـــداثة ، ١٩٨٠ .

ر . سي . سميث ، فـن الحـرب عند الصـليبيين ، (تـــرجمة عربية) ، دمشق ، مركز الدراسات العسكرية ، ١٩٨٢ .

رينيه غروسيه ، جنكيز خان ، (ترجمة عربية) ، دمشـق ، دار حسان ، ١٩٨٢ .

زكريا بن محمد بن محمود القزويني ، كتاب آثار البلاد وأخبـار العباد ، بيروت ، دار الصياد ، ١٩٦٠ .

ستيفن رنسيمان ، تـاريخ الحـروب الصـــليبية ، (تـــرجمة عربية) ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٧ .

سعيد عبد الفتاح عاشور ، « أضواء جديدة على مدينة القدس في عصر سلاطين المماليك » ، بحـث ألقـي في المؤتمـر الدولي الثـالث لتاريخ بلاد الشام ، عمان ١٩٨٠ .

ـــ ، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب ، بيروت ، دار النهضـة العربية ، ١٩٧٦ .

ـــ ، الحـركة الصـليبية ، القـاهرة ، مـكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٣ .

ـــ ، الظاهر بيبـرس ، القـاهرة ، وزارة الثقـافة والارشـــاد القومي ، ١٩٦٣ .

ـــ ، مصر والشـام في عصر الأيوبيين والمـماليك ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٢ .

ـــ ، مصر في عصر دولة المـماليك البحـرية ، القـاهرة ، مـكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٩ .

سهيل زكار ، أخبار القرامطة ، دمشق ، دار حسان ، ١٩٨٢ .

ـــ ، الحروب الصليبية ، دمشق ، دار حسان ، ١٩٨٤ .

ـــ ، حطين ، دمشق ، دار حسان ، ١٩٨٤ .

ـــ ، مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية ، دمشق ، دار الفـكر ، ١٩٧٤ .

السيد الباز العريني ، المماليك ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٧ .
صالح بن يحيى ، تاريخ بيروت ، بيروت ، دار المشرق ، ١٩٦٧ .
طاشكبري زاده ، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٧٥ .
طه ذلجي الطراونة ، مملكة صفد في العصر المملوكي ، بيروت ، دار الآفاق الجديدة ، ١٩٨٢ .
عادل زيتون ، العلاقات الاقتصادية بين المشرق والمغرب في العصور الوسطى ، دمشق ، دعر دمشق ، ١٩٨٠ .
عبد الجليل حسن عبد المهدي ، المدارس في بيت المقدس ، عمان ، مكتبة الأقصى ، ١٩٨١ .

عبد الحي بن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ، مكتبة القدسي ، ١٩٣١ ـ ١٩٣٢ .
عبد الرحمن بن إسماعيل (أبو شامة) ، الروضتين في أخبار الدولتين مع الذيل (تراجم رجال القرنين السادس والسابع) ، بيروت ، دار الجيل ، ٤ . ت .
عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، القاهرة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ١٩٦٥ .
ـــ ، تاريخ الخلفاء ، القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٦٤ .
ـــ ، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، القاهرة ، المطبعة الشرقية ، ١٣٢٧ .
عبد الرحمن بن الجوزي ، فضائل القدس ، بيروت ، دار الآفاق الجديدة ، ١٩٨٠ .
ـــ ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، حيدر أباد ـ الهند ، المطبعة العثمانية ، ١٩٤٠ .
عبد الرحمن بن خلدون ، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة ، ١٩٥١ .

ـــ ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٥٨ .

عبد الرحمن بن محمد العليمي الحنبلي ، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، عمان ، مكتبة المحتسب ، ١٩٧٣ ، ومصر ، المطبعة الوهبية ١٢٨٣ هـ .

عبد الرحمن بن نصر الشيزري ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٩ .

عبد الرحيم بن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، بيروت ، المطبعة الأميركانية ، ١٩٣٦ ، ١٩٤٢ ، وبغداد ، مطبعة حداد ، ١٩٦٧ .

عبد القادر بن محمد النعيمي ، الدارس في أخبار المدارس ، دمشق ، المجمع العلمي العربي ، ١٩٤٨ .

عبد الله بن أسعد اليافعي ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، بيروت ، مؤسسة الأعلمي ، ١٩٧٠ .

عبد الله بن عبد الله ابن خرداذبة ، كتاب المسالك والممالك ، ليدن ، مطبعة برل ، ١٨٨٩ .

عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي ، كتاب مراصد الاطلاع ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٥٤ .

عبد الله بن عبد الظاهر (محيي الدين) ، الألطاف الخفية ، لايبزغ ، ١٩٠٢ ، د . ت .

ـــ ، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور ، القاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، ١٩٦١ .

ـــ ، الروض الظاهر في سيرة الملك الظاهر ، الرياض ، المحقق ، ١٩٧٦ .

عبد الوهاب السبكي ، معيد النعم ومبيد النقم ، بيروت ، دار الحداثة ، ٨٣! .

عدنان البخيت ، مملكة الكرك في العهد المملوكي ، عمان ، جامعة اليرموك ، ١٩٧٦ .

علي إبراهيم حسن ، دراسات في تاريخ المماليك البحرية وفي عصر الناصر محمد بوجه خاص ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٧ .

علي أحمد ، « الاندلسيون في بلاد الشام منذ نهاية القرن الخامس وحتى نهاية القرن التاسع الهجري » ، (رسالة ماجستير غير منشورة) ، قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة دمشق ، ١٩٨٢ .

علي ابن أبي بكر الهروي ، الاشارات إلى معرفة الزيارات ، دمشق ، المعهد الفرنسي ، ١٩٥٣ .

علي بن الحسن بن عساكر ، تاريخ دمشق ، مخطوطة الظاهرية ، ٥٣١٦ ، عام ٢٠٥ ، د . دمشق ، المجلدة الاولى والثانية ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، المجمع العلمي العربي ، ١٩٥١ ، المجلدة العاشرة تحقيق أحمد دهمان ، المجمع العلمي العربي ، ١٩٦٣ .

علي بن داود الصيرفي ، أنباء الهصر بأبناء العصر ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٠ .

ـــ ، نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٠ ـ ١٩٧٤ .

علي اللبودي ، فضل الاكتساب وأحكام الكسب وآداب المعيشة ، نسخة مصورة في مكتبة الباحث عن مخطوطة تشستربيتي ـ دبلن .

علي بن محمد ، أبو الحسن ، (ابن الاثير) ، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية ، القاهرة ، دار الكتاب الحديثة ، ١٩٦٣ م .

ـــ ، الكامل في التاريخ ، القاهرة ، المطبعة المنيرية ، ١٣٤٨ هـ .

علي بن يوسف القفطي ، إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، لايبزغ ، ١٩٠٣ .

عمر بن أحمد بن العديم ، زبدة الحلب من تاريخ حلب ، دمشق ، المعهد الفرنسي ، ١٩٥١ ، ١٩٥٤ ، ١٩٦٨ .

عمر بن الوردي ، تتمة المختصر في أخبار البشر ، بيروت ، دار المعرفة ، ١٩٧٠ .

فاروق عمر ، تاريخ فلسطين السياسي في العصور الاسلامية ، أبو ظبي ، مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٣ .

فايد حماد عاشور ، العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الاولى ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٤ .

فضل الله الصقاعي ، تالي وفيات الأعيان ، دمشق ، المعهد الفرنسي ، ١٩٧٤ .

فولفغانغ مولر ـ فيز ، القلاع أيام الحروب الصليبية ، (ترجمة عربية) ، دمشق ، مركز الدراسات العسكرية ، ١٩٨٢ .

قسطنطين خمار ، أسماء الأماكن والمواقع والمعالم الطبيعية والبشرية والجغرافية المعروفة في فلسطين حتى عام ١٩٤٨ ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٠ .

كامل جميل العسلي ، من آثارنا في بيت المقدس ، عمان ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، ١٩٨٢ .

محمد بن أحمد بن إياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، القاهرة ، كتاب الشعب ، ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ .

محمد بن أحمد بن بسام المحتسب نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٩٦٨ .

محمد أحمد دهمان ، ولاة دمشق في عهد المماليك ، دمشق ، دار الفكر ، ١٩٨١ .

محمد بن أحمد بن قايماز الذهبي ، دول الإسلام ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ .

محمد بن أحمد القرشي (ابن الأخوة) ، معالم القربة في أحكام الحسبة ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٦ .

محمد بن أحمد المقدسي ، كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ، مطبعة بريل ، ١٩٠٦ .

محمد بن جبير ، رحلة ابن جبير ، القاهرة ، مكتبة مصر ، ١٩٥٥ .

محمد بن جرير الطبري ، كتاب تاريخ الرسل والملوك ، القاهرة ، دعر المعارف ، د . ت .

محمد جمال الدين سرور ، دولة بني قلاوون في مصر ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٤٧ .

ـــ ، دولة الظاهر بيبرس ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٦٠ .

محمد بن حوقل النصيبي ، كتاب صورة الأرض ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، د . ت .

محمد بن خليل الأسدي ، التيسير والاعتبار والتحرير والاختبار ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٦٧ .

محمد بن رافع السلامي ، الوفيات ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٢ .

محمد بن سالم بن واصل الحموي ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، الجزء الثاني ، القاهرة ، المطبعة الأميرية ، ١٩٥٧ .

محمد بن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ، القاهرة ، ١٩٥١ .

محمد بن الشحنة (ينسب له) ، البدر الزاهر في نصرة الملك الناصر محمد بن قايتباي ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٨٣ .

محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي (شيخ الربوة) ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ط . مصورة ، بغداد ، مكتبة المثنى .

محمد بن طولون الصالحي الدمشقي ، اعلام الورى بمن ولي نائبا من الأتراك بدمشق والشام الكبرى ، دمشق ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، ١٩٦٤ .

ـــ ، قضاة دمشق ، دمشق ، (المجمع العلمي العربي) ، ١٩٥٦ .

ـــ ، مفاكهة الخلان ، القاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، ١٩٦٢ .

محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، التبر المسبوك في ذيل السلوك ، ط . القاهرة ، مكتبة الكليات الأظهرية ، د . ت .

ـــ ، الذيل على رفع الاصر عن قضاة مصر ، القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ .

ـــ ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، بيروت ، دار الحياة ، طبعة مصورة ، د . ت .

محمد بن عبد الرحمن العثماني ، قطعة من تاريخ صفد ،

محمد العبدري الحيحي ، رحلة العبدري أو (الرحلة المغربية) ، الرباط جامعة محمد الخامس ، ١٩٦٨ .

محمد عبد العزيز مرزوق ، الناصر محمد بن قلاوون ، القاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، د . ت .

محمد بن عبد الله اللواتي (المعروف بابن بطوطة) ، القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٥٨ .

كحمد عبد الهادي شعيرة ، المرابطون ، القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٩ .

محمد بن عبد الواحد الحنبلي ، فضائل بيت المقدس ، دمشق ، دار الفكر ، ١٩٨٥ .

محمد بن علي بن شداد ، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، دمشق ، المعهد الفرنسي ، ١٩٦٢ .

ـــ ، تاريخ الملك الظاهر ، بيروت ، المعد الألماني ، ١٩٨٣ .

محمد بن علي الحموي ، التاريخ المنصوري ، دمشق ، مجمع اللغة العربية ، ١٩٨٢ .

محمد بن علي الشوكاني ، البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٣٤٨ هـ .

محمد علي العظيمي ، تاريخ حلب ، دمشق ، المحقق ، ١٩٨٤ :

محمد عيسى صالحية ، حوليات كلية الآداب ، من وثائق الحرم القدسي الشريف المملوكية ، الرسالةالسادسة والعشرون ، الكويت ، ١٩٨٥ .

محمد كرد علي ، خطط الشام ، دمشق ، مكتبة الذوري ، ١٩٨٣ .

محمد بن محمد بن صصرى ، الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية ، كاليفورنيا ، ١٩٦٣ .

محمد بن محمد (العماد الأصفهاني) ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، القاهرة ، مطبعة الموسوعات ، ١٣٢١ ه .

محمد بن محمود الحلبي (الملقب بابن أجا) ، العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك ، دمشق ، دار الفكر ، ١٩٨٦ .

محمد بن محمود بن خليل الحلبي ، تاريخ الأمير يشبك الظاهري ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٧٣ .

محمد بن يحيى بن الجيعان ، القول المستظرف في سفر مولانا الملك الاشرف ، بيروت ، جروس ـ برس ، ١٩٨٤ .

محمود بن أحمد بن موسى (بدر الدين العيني) ، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد (شيخ المحمودي) ، القاهرة ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، ١٩٦٧ .

ـــ ، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٦٢ .

مصطفى طه بدر ، مغول إيران بين المسيحية والاسلام ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، د . ت .

مصطفى مراد الدباغ ، بلادنا فلسطين ، بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٦٥ ، ١٩٧٦ .

ـــ ، الموجز في تاريخ الدول الاسلامية وعهودها في فلسطين ، بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٨١ .

مظهر شهاب ، تيمورلنك ، (أطروحة دكتوراه غير منشورة) ، الجامعة اليسوعية بيروت ، ١٩٨١ .

منصور بن بعرة الذهبي ، كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية بيروت ، ١٩٨١ .

مؤرخ شامي مجهول ، حوليات دمشقية ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٨ .

المورد ، مجلة تراثية فصلية ، « الفكر العسكري عند العرب » ، المجلد الثاني عشر العدد الرابع بغداد ١٩٨٣ .

ناصر خسرو ، سفر نامه ، (ترجمة عربية) ، القاهرة ، ١٩٤٥ .

نجم الدين الغزي ، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ، بيروت ، محمد أمين دمج وشركاه ، ١٩٤٥ .

نقولا زياده ، « فيلكس فابري في فلسطين » ، (بحث ألقي في المؤتمر الثالث لبلاد الشام) ، عمان ، ١٩٨٠ .

ياقوت بن عبد الله الحموي ، إرشاد الأريب إلى المعرفة الاديب (معجم الأدباء) ، القاهرة ، دار المأمون ، ١٩٠٧ ـ ١٩٢٧ .

ـــ ، معجم البلدان ، بيروت ، دار الصياد ، د . ت .

يوسف بن تغري بردي ، (أبو المحاسن) ، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٥٦ .

ـــ ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ، ط . مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٥٦ .

ـــ ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ، ط ..مصورة عن مطبعة دار الكتب المصرية ، د . ت .

يوسف غوانمة ، إمارة الكرك الأيوبية ، عمان ، دار الفكر ، ١٩٨٢ .

ـــ ، تاريخ شرقي الاردن في عصر دولة المماليك الاولى ، وزارة الثقافة والشباب ، عمان ، دار الفكر ، ١٩٨٢ .

ـــ ، تاريخ شرقي الاردن في عصر دولة المماليك الاولى ، وزارة الثقافة والشباب ، عمان ، ١٩٧٩ .

ـــ ، تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي ، عمان ، دار الحياة ، ١٩٨٢ .

المحتوى

٣ ـ توطئة
٩ ـ الباب الأول
١٠ ـ الفصل الأول ـ الانتقال من العصور الكلاسيكية إلى العصور الوسطى .
١٧ ـ المسيحية والعالم الروماني
٢٧ ـ الامبراطورية الرومانية والشعوب البربرية
٥٣ ـ الامبراطورية البيزنطية والحضارة الأرثوذكسية الشرقية .
٥٦ ـ الامبراطورية البيزنطية وخصومها .
٧٢ ـ الفصل الثاني ـ الفرنجة ودولهم،الدولة الميروفنجية
٧٩ ـ حضارة الدولة الميروفنجية،الحياة الاقتصادية
٨١ ـ الحياة الفكرية والفنية
ذ٨ ـ الحياة الدينية ـ الكنيسة الميروفنجية
٨٥ ـ الحياة الرهبانية
٨٧ ـ بريطانيا ـ المملكة الانكلوسكسونية
٩١ ـ النظم الانكلو ـ سكسونية
٩٥ ـ الامبراطورية الكارولنجية
٩٦ ـ تأسيس الملكية الكارولنجية بيبن القصير
٩٨ ـ بيبن القصير والكرسي المقدس
١٠٠ ـ بيبن وزعيم السلطة الملكية
١٠١ ـ شخصية شارلمان وبداية حكمه
١٠٢ ـ التدخل في ايطاليا
١٠٤ ـ أعمال شارلمان التوسعية والحروب مع السكسون
١٠٦ ـ الحرب مع العرب في اسبانيا
١٠٧ ـ اخضاع بافاريا والآفار
١٠٨ ـ تتويج شارلمان امبرطورا
١١٤ ـ انحلال الامبراطورية الكارولنجية
١١٧ ـ المنازعات العائلية وتقسيم الامبراطورية
١١٨ ـ معاهدة فردان
١١٩ ـ الممالك الفرنجية وأواخر الكارولنجيين
١٢١ ـ جرمانيا
١٢٦ ـ خلفاء شارل الأصلع
١٢٩ ـ الحضارة الكارولنجية ـ الحياة الاقتصادية
١٣٣ ـ المجتمع
١٣٥ ـ نظام الحكم والادارة
١٣٦ ـ الحرب
١٣٨ ـ التنظيم الاداري
١٤٠ ـ إضفاء الصبغة الدينية على المملكة
١٤١ ـ الكنيسة الكارولنجية

١٤٥ ـ الحياة الفكرية والفنية
١٤٩ ـ الفايكنغ
١٥٣ ـ اغارات الفايكنغ على الامبراطورية الكارولنجية
١٦١ ـ غارات الفايكنغ على انكلترا
١٦٤ ـ غزوات الفايكنغ لايرلندا
١٦٦ ـ الفايكنغ في الجزر الشمالية
١٦٦ ـ توسع السويديين شرقا
١٦٩ ـ حضارة الفايكنغ
١٧١ ـ أسرة كابية في فرنسا
١٧٦ ـ الامبراطورية الكارولنجية، بيزنطة وشارلمان
١٧٩ ـ فترة حكم نقفور
١٩٠ ـ الاسرة العمورية
٢١٠ ـ فترة حكم الاسرة المكدونية
٢١٤ ـ العلاقات البيزنطية العربية
٢٢٥ ـ العلاقات مع البلغار والمجر
٢٢٩ ـ العلاقات بين بيزنطة والروس
٢٣٢ ـ العلاقات مع ايطاليا وأوربا الغربية
٢٣٤ ـ شؤون الكنيسة
٢٤١ ـ الباب الثاني
٢٤٢ ـ الفصل الاول ـ الطور الأول من تاريخ الحروب الصليبية (الاحتلال)
٢٦٦ ـ البوريون أتابكة دمشق
٢٦٢ ـ الفصل الثاني ـ المرحلتان الاولى والثانية من حروب الاسترداد في الطور الثاني
٢٩٣ ـ قيام صلاح الدين
٣١٧ ـ الفصل الثالث ـ المرحلة الثالثة من حروب الاسترداد في الطور الثاني (مرحلة دمشق :
٣٦٣ ـ حصاد حطين
٣٩٩ ـ الفصل الرابع ـ المرحلة الرابعة من حروب الاسترداد في الطور الثاني (مرحلة القاهرة)
٤٥١ ـ الحواشي
جريدة المصادر والمراجع

obeikandl.com